

د. أحمد عبد الصمد محمد الأمين*

*أستاذ العقيدة والثقافة الإسلامية المشارك

جامعة تبوك - كلية الشريعة والقانون- قسم الدراسات الإسلامية
المملكة العربية السعودية

الملخص

تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي. أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1. المصائب هي كل ما ينزل بالإنسان مما يكره ويسبب له الألم والحزن والهم.
2. توجد عدة مصطلحات لها علاقة بالمصائب منها: الابتلاء، والعقوبة، والفتنة،
3. للمصائب دلالات على الإيمان بالله تعالى وتوحيده.
4. هناك عدد من المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب. أهم التوصيات:
1. دعوة الباحثين إلى المزيد من دراسة للمسائل العقدية المتعلقة بالمصائب.
2. لفت نظر مراكز الدراسات البحثية إلى تناول الموضوع من جوانب مختلفة.
3. الاستفادة من نتائج هذا البحث والبحوث ذات الصلة في فهم شامل للموضوع.

الكلمات المفتاحية: المسائل، العقدية، المصائب.

تناول البحث التعريف بالمصائب، والمصطلحات ذات الصلة بها، والمصائب في القرآن الكريم والسنة النبوية، والمسائل العقدية المتعلقة بالمصائب، ومن ذلك دلالتها على توحيد الله تعالى والإيمان به، ومنه دلالتها على وجود الله تعالى، ودلالتها على التوحيد بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، ومنه دلالتها على الإيمان بالقدر، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والمخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب، منها: مخالفات متعلقة بالتوحيد، مما يضاد التوحيد، منها: دعاء غير الله تعالى، والتوكل على غير الله تعالى، وسوء الظن بالله، واليأس من روح الله سبحانه والقنوط من رحمته، والأمن من مكر الله، ومخالفات عقدية تنافي كمال التوحيد، منها: التشاؤم بالمصائب، وسبها، والتسخط والجزع منها، وتعداد المصائب، ونسيان النعم.

يهدف البحث إلى التعريف بالمصائب، وبيان المسائل العقدية المتعلقة بها، والمخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب.

Issues Related to Calamities

Dr.Ahmed Abdelsamad Mohamed Elamin*

*Associate Professor Of Islamic Doctrine And Culture
University Of Tabuk - College Of Sharia And Law
Department Of Islamic Studies
Kingdom Of Saudi Arabia

Abstract

The study has dealt with the identification of calamities and their related terms, calamities in the Holy Quran and Prophetic traditions, and the belief issues related to calamities, among which are that they signify belief in the Oneness of Allah, in the existence of Allah, and in the three categories of Oneness of Allah: Oneness in His Lordship, which implies belief in Fate, Oneness in Worship and Attributes, and the violation of belief regarding calamities that negates belief in the Oneness of Allah, among which are the calling of other creatures and trusting them and mistrusting Allah, giving up hope in Allah's mercy, and feeling secure of Allah's plan. Also, there are belief violations that are incompatible with the perfection of belief, among which are pessimism, and the feelings of resentment and uneasiness, enumerating calamities and forgetting bounties. The study aims at identifying calamities, and pointing out the related belief issues and belief violations related to calamities.

The inductive, descriptive analytical method has been adopted. .

The most important findings:

1. Calamities are all what befalls the human being causing him to feel pain, sadness, distress
2. There are many terms related to calamities like: tribulation, punishment and test.
3. Calamities have implications on the belief in the Oneness of Allah
4. There are a number of belief violations related to calamities

The most important recommendations:

1. It is a call for researchers to study belief issues related to calamities comprehensively.
2. Drawing the attention of research centers to deal with the issue calamities from different aspects.
3. Benefiting from the findings of this study and other relevant researches in developing a comprehensive understanding of the issue calamities.

Keywords: Issues, Belief, Calamities

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد.

تُعد المصائب من السنن الكونية التي قدَّرها الله تعالى، فيصيب بها من يشاء من خلقه، وهي أنواع: فمنها العام، ومنها الخاص، ومنها ما يكون عقوبة عامة للكفار ممن كذَّب أنبياء الله ورسله -عليهم السلام-، ومن ذلك ما وقع للأمم التي كذبت رسلها، كقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، أو عقوبة للعصاة من المسلمين، وتكون المصائب في حق أنبياء الله ورسله وخُلص المؤمنين ابتلاءً واختباراً؛ لرفعة درجات الأنبياء والرسل والمؤمنين، أو لتكفير السيئات للمؤمنين، أو للتمييز بين المؤمنين وغيرهم.

وللمصائب دلالات عديدة على الإيمان بالله تعالى وتوحيده؛ فمن ذلك دلالتها على الإيمان بوجود الله تعالى، وعلى التوحيد بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، ومن ذلك الإيمان بالقدر، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات .

تتعلق بالمصائب عدة مخالفات عقدية، تقع من بعض الناس؛ منها ما يضاد التوحيد، مثل: دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة به، والتَّوَكُّل على غير الله تعالى، وسوء الظن بالله، واليأس والقنوط من رحمته، والأمن من مكر الله، والمخالفات العقدية ما ينأى في كمال التوحيد، مثل: سب المصائب، والتَّسَخُّط والجزع من المصائب، بعدم الصبر عليها، كما توجد عدة بدع في التعامل مع المصائب.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن علاقة المصائب وارتباطها بالعقيدة الإسلامية، وما المسائل العقدية المتعلقة بالمصائب؟ وما دلالة المصائب على الإيمان بالله تعالى وتوحيده؟ وما الحكم من وقوع المصائب؟ وكيف يمكن أن تساعد العقيدة الإسلامية في التعامل مع المصائب، وما المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب؟.

حدود البحث: استعراض المسائل العقدية المتعلقة بالمصائب، والاستدلال عليها بالنصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- جدّة الموضوع وحداثه؛ فلم أقف على بحث مستقل تناوله من هذا الجانب.
- 2- حاجة الموضوع لبيان المسائل العقدية المتعلقة به.
- 3- أهمية ربط الموضوع بالعقيدة، مما يُعطي تصوراً صحيحاً عنه.
- 4- تقوية الإيمان بالله تعالى، من خلال الإيمان بالقدر، والصبر على المصائب.

أهداف البحث:

- 1- كشف المسائل العقدية المتعلقة بالمصائب.
- 2- بيان دلالة المصائب على الإيمان بالله وتوحيده.
- 3- الوقوف على الحكم الإلهية في وقوع المصائب.
- 4- إبراز المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب.

الدراسات السابقة:

- لم أقف حسب علمي وبحثي على دراسة مستقلة متكاملة تناولت الموضوع من هذه الجوانب العقدية الواردة في بحثي، ومن الكتابات ذات الصلة بهذا الموضوع:
1. الفتن والبلايا والمحن والرزايا، أو فوائد البلوى والمحن، عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق أياد خالد الطباع، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا.
 2. تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى: 1347هـ - 1929م.
 3. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
 4. اللباب في تسلية المصاب، أبو الحسن علي بن أيوب بن منصور المقدسي، تحقيق وشرح وتعليق عبد القادر أحمد عبد القادر، نشر مجلة الحكمة، بتاريخ 1414هـ، العدد الثاني.
 5. الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم، عبد الله ميرغني محمد صالح، الناشر: دار الاعتصام.
 6. أسباب هلاك الأمم السابقة كما يصورها القرآن المكي، دراسة موضوعية في ضوء الكتاب والسنة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، محمد صفوان مبرير عبد الحليم، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، بتاريخ 2004م.
 7. من أسباب هلاك الأمم السابقة الواردة في السنة النبوية، مهدي بن محمد رشاد الحكمي، بحث علمي محكم، (مجلة مركز البحوث الإسلامية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم) العدد 46، بتاريخ جمادى الأولى/مارس 2014م.
 8. العقوبات الإلهية المادية في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، د. علي بن عبد الله أحمد الحيريات، بحث علمي محكم، (مجلة كلية دار العلوم)، العدد 149، مارس 2024م.
 9. علاقة المصائب بالذنوب وعقوباتها الإلهية دراسة عقدية، سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المجلد الثالث، العدد السادس، العام 2012م، صفحة 31 إلى 82.

منهج البحث:

يتطلب البحث اتباع المنهج الاستقرائي، والوصفي والتحليلي.

وقد قمت بالآتي:

أولاً: جمع المادة العلمية الخاصة بالبحث، من المصادر العلمية، ثم تحليلها واستخلاص النتائج.

ثانياً: كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

ثالثاً: عزو الأحاديث النبوية إلى مظانها من كتب السُّنة النبوية، وإذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما ذكرت من حكم عليها بالصحة أو الحسن من العلماء.

رابعاً: ضبط الأحاديث النبوية بالشكل.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وحدوده، وأسباب اختياره، وأهدافه، والمنهج العلمي المتبع في كتابة البحث، وخطة البحث، وأما المباحث فبيانها كالآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمصائب والمصطلحات ذات الصلة.

المطلب الأول: التعريف بالمصائب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة.

المبحث الثاني: المصائب في القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

المطلب الأول: المصائب في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المصائب في السُّنة النبوية.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالمصائب.

المطلب الأول: دلالة المصائب على توحيد الله تعالى والإيمان به.

المسألة الأولى: دلالة المصائب على وجود الله تعالى.

المسألة الثانية: دلالة المصائب على توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: دلالة المصائب على الإيمان بالقدر.

المسألة الأولى: التعريف القدر والإيمان به.

المسألة الثانية: تقدير الله تعالى للمصائب.

المسألة الثالثة: حكمة الله تعالى في تقدير المصائب.

المسألة الرابعة: الصبر على المصائب.

المطلب الثالث: دلالة المصائب على توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

المسألة الأولى: دلالة المصائب على توحيد الألوهية.

المسألة الثانية: دلالة المصائب على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب

المطلب الأول: مخالفات تضاد التوحيد .

المسألة الأولى: دعاء غير الله تعالى لدفع أو رفع المصائب.

المسألة الثانية: التَّوَكُّلُ على غير الله تعالى.

المسألة الثالثة: سوء الظن بالله تعالى.

المسألة الرابعة: اليأس من روح الله والقنوط من رحمته.

المسألة الخامسة: الأمن من مكر الله.

المطلب الثاني: مخالفات تناقض كمال التوحيد.

المسألة الأولى: التشاؤم بالمصائب.

المسألة الثانية: سب المصائب.

المسألة الثالثة: التسخط والجزع من المصائب.

المسألة الرابعة: تعداد المصائب ونسيان النعم.

المسألة الخامسة: البدع المتعلقة بالمصائب

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: التعريف بالمصائب والمصطلحات ذات الصلة

المطلب الأول: تعريف المصائب لغة واصطلاحاً.

المصائب لغة: المصائب جمع مفردها مصيبة، قال ابن فارس: "الصاد والواو والباء أصل صحيح يدل على نزول شيء واستقراره قراره"¹، و"أصاب السهم إصابة وصل الغرض وفيه... والمصيبة الشدة النازلة وجمعها المشهور مصائب"².

"وَالْمُصِيبَةُ وَاحِدَةُ الْمَصَائِبِ وَأَجْمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى هَمَزِ الْمَصَائِبِ وَأَصْلُهَا الْوَأُ وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى مَصَاوِبَ وَهُوَ الْأَصْلُ"³.

"يُقَالُ مُصِيبَةٌ، وَمُصُوبَةٌ، وَمُصَابَةٌ، وَالْجَمْعُ مَصَائِبَ، وَمَصَاوِبَ. وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَكْرُوهُ يُنْزَلُ بِالْإِنْسَانِ"⁴
"المُصِيبَةُ - مَا أَصَابَ مِنَ الدَّهْرِ. قَالَ: وَلَا يُقَالُ مُصَابَةٌ وَحَكَى ابْنُ جَنِي مُصَابَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَجَمْعُ الْمُصِيبَةِ مَصَاوِبَ وَمَصَائِبَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ"⁵.

¹ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج 3/317.

² المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ج 1/249.

³ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص 180.

⁴ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج 3/57.

⁵ المخصص، ابن سيده، ج 3/366.

المصائب اصطلاحاً:

عُرِّفَت المصيبة اصطلاحاً بأنها: " اسم لكل ما يسوء الإنسان"⁶، كما عُرِّفَتْ بأنها: " ما لا يلائم الطبع كالموت ونحوه"⁷، وعلى هذا يمكن تعريف المصيبة بأنها: كل نازلة تنزل بالإنسان مما يكره، مما يسبب له الألم، أو الحزن، أو الهم، أو الغم.

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالمصائب

أولاً: الكارثة: لغة: مفرد وجمعها كوارث، قال ابن فارس: "الكاف والراء والثاء، ليس فيه إلا كَرَثَ الأمرُ، إذا بلغ منه المشقة"⁸، و"كَرَثَ الأمرُ يَكْرِثُهُ وَيَكْرُثُهُ كَرَثًا، وَأَكْرَثَهُ سَاءَهُ واشتدَّ عَلَيْهِ، وَبَلَغَ مِنْهُ الْمَشَقَّةُ"⁹.

الكارثة اصطلاحاً: عُرِّفَتْ بأنها: "اضطراب خطير في سير الحياة في جماعة أو مجتمع على أي نطاق بسبب أحداث خطيرة تتفاعل مع ظروف التَّعَرُّض للأخطار والضعف والقدرة، بما يؤدي إلى واحدة أو أكثر من الخسائر والآثار التالية: الخسائر والآثار البشرية والمادية والاقتصادية والبيئية"¹⁰. ومن أمثلة الكوارث: الزلازل، والبراكين، والفيضانات، والأعاصير، والأوبئة، والحرائق، والحروب، والجذب.

ثانياً: الجائحة: لغة: قال ابن فارس: "الجيم والواو والحاء أصل واحد، وهو الاستئصال. يقال جاح الشيء يجوحه استأصله، ومنه اشتقاق الجائحة"¹¹، والجائحة هي المصيبة العظيمة"¹². **الجائحة اصطلاحاً:** "هي الآفة التي تهلك الثمار وتجتاح الأموال وتستأصلها وكلُّ مصيبة عظيمة وفتنة كبيرة"¹³.

⁶ التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، 307

⁷ التعريفات، الجرجاني، 217

⁸ معجم مقاييس اللغة، ج5/175

⁹ لسان العرب، ج2/180.

¹⁰ ينظر: موقع مكتب الأمم المتحدة للحد من مخاطر الكوارث <https://www.undrr.org/ar/terminology/alkarht>

¹¹ معجم مقاييس اللغة، ج1/492

¹² جمهرة اللغة، ابن دريد، ج1/442

¹³ التعريفات الفقهية، البركتي، 73

ثالثاً: النازلة: لغة: قال ابن فارس: "النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه"¹⁴، "والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس"¹⁵.

النازلة اصطلاحاً: المعنى الاصطلاحي للنازلة لا يختلف عن المعنى اللغوي فيمكن تعريفها بأنها: هي المصائب والشدائد التي تنزل بالناس¹⁶.

ثانياً: البلاء: البلاء لغة: "والبلاء: الاختبار، ويكون بالخير والشر. يقال: أبلأه الله بلاءً حسناً. وأبليتُهُ معروفاً"¹⁷. "يلي بالشيء بلاءً وابليتَ وانتلاه الله - امتحنه والبلاء يكون في الخير والشر يُقال أبليتُهُ بلاءً حسناً وسيئاً. نُعْلِبُ: أنلأه خيراً وبالخير وكذلك ابتلاه وبلاه بالشر وقيل بلاءه جمعهما فأما أنلأه ففي الخير خاصةً وحقيقة هذه الكلمة الاختبار"¹⁸.

البلاء اصطلاحاً: المعنى الاصطلاحي للبلاء يتفق مع المعنى اللغوي، ومنه الابتلاء، فالبلاء اصطلاحاً: هو الاختبار والامتحان¹⁹، وعُرفَ الابتلاء بأنه: "التكليف بالأمر الشاق"²⁰، "والابتلاء يكون في الخير والشر، وإذا أُطلق كان في الشر غالباً، فإذا أُريد به الخير فُيَد به"²¹، "يقال في الخير أبليتُهُ، وفي الشر بلوته بلاء"²².

ثالثاً: الفتنة: الفتنة لغة: "الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار"²³. قال الأزهري: "جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء، والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، أذبتهما بالنار ليطمئز الردي من الجيد"²⁴.

¹⁴ معجم مقاييس اللغة، ج417/5، وينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد، ج367/7.

¹⁵ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص 308، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج550/12.

¹⁶ ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص 308

¹⁷ الصحاح تاج اللغة وصاح العربية، الجوهري، ج2285/6، وينظر معجم مقاييس اللغة، ج293/1-294

¹⁸ المخصص، ابن سيده، ج366/3

¹⁹ ينظر: الكليات، أبو يعقوب الكفوي، ص249، والتوقيف على مهمات التعاريف، ص 83.

²⁰ الكليات، الكفوي، ص 34.

²¹ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج418/2، وينظر الكليات، ص 34.

²² الكليات، ص 34

²³ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج472/4

²⁴ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، ج211/14

الفتنة اصطلاحاً: عُرِّفَت الفتنة في الاصطلاح بأنها: "ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر"²⁵، "وأصل الفتنة الامتحان والاختبار، واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره، ثم أُطْلِقَتْ على كل مكروه، أو آيل إليه كال كفر، والإثم، والتحريق، والفضيحة، والفجور وغير ذلك"²⁶. وللفتنة في القرآن الكريم والسنة النبوية معان وإطلاقات أخرى، وذلك بحسب السياق الذي وردت فيه.

ثالثاً: العقوبة:

العقوبة لغة: قال ابن فارس: "العين والقاف والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، والأصل الآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة. فالأول قال الخليل: كل شيء يعقَّبُ شيئاً فهو عقبيه، كقولك خلف يخلف، بمنزلة الليل والنهار إذا مضى أحدهما عقب الآخر، وهما عقبيان، كل واحد منهما، ومن الباب: عاقبت الرجل معاقبةً وعقوبةً وعقاباً. واحذر العقوبة والعقب"²⁷، "والاسم العقوبة، وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقاباً، أخذه به، وتعقبت الرجل إذا أخذته بذنب كان منه"²⁸.

العقوبة اصطلاحاً: للعقوبة اصطلاحاً تعريفات مختلفة بعدة اعتبارات، ففي التعريف الفقهي تُعرَّف بأنها: "الإيلاء الذي يتعقب به جرم سابق"²⁹، والذي يهمننا هنا التعريف العام للعقوبة من حيث وقوعها من الله تعالى على الأفراد والأمم، حيث يمكن تعريفها بأنها: الجزاء الذي يوقعه الله تعالى على الأفراد والأمم بسبب الذنوب والمعاصي³⁰.

العلاقة بين المصائب والمصطلحات ذات الصلة:

البلاء والابتلاء أعم من المصيبة من وجه، وأخص منها من وجه آخر؛ لأنهما يكونان في السراء والضراء، وأما المصيبة فلا تكون إلا في الضراء، ولكن البلاء والابتلاء أخص من المصيبة من وجه آخر؛ لأن المصيبة تصيب المكلفين وغيرهم كالأطفال، بينما البلاء والابتلاء والفتنة لا تكون إلا في حق المكلفين³¹.

²⁵ التعريفات، الجرجاني، ص 165.

²⁶ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج 3/13.

²⁷ معجم مقاييس اللغة، ج 4/77-78.

²⁸ لسان العرب، ابن منظور، ج 1/619.

²⁹ التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٢٤٤.

³⁰ ينظر: فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، أبو فيصل البدراني، ص 17.

³¹ ينظر المصدر السابق، ص 18.

وكذلك يقال في العلاقة بين الفتنة والمصيبة ما قيل في العلاقة بين البلاء والابتلاء والمصيبة، لأنَّ الفتنة هي أشد الاختبار وأبلغه، ويكون في الخير وفي الشر³².
وأما العلاقة بين المصيبة والعقوبة، فالمصيبة أعم من العقوبة؛ فبينهما عموم وخصوص، فكل عقوبة مصيبة، وليست كل مصيبة عقوبة، فكل عقوبة بذنب، وليس كل مصيبة بذنب، فقد تكون المصيبة بذنب فتصبح عقوبة، وقد لا تكون بذنب³³.

المبحث الثاني: المصائب وأنواعها في القرآن الكريم والسنة النبوية

المطلب الأول: أنواع المصائب في القرآن الكريم

وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تناولت موضوع المصائب وأنواعها؛ فمنها المصائب العامة والخاصة، وتعدد أسبابها؛ فالمصائب لا تخرج من ثلاثة أحوال: الأولى: أن تكون كفارة، والثانية: أن تكون زيادة في الأجر، والثالثة: أن تكون عقوبة³⁴.

فمن ذلك المصائب المترتبة على تكذيب الرسل عليهم السلام، وهي العذاب الإلهي الذي يقع عقوبة للمُكذِّبين، وقد ذكر الله تعالى تكذيب قوم نوح عليه السلام، وقوم لوط عليه السلام، وعاد وهم قوم هود عليه السلام، وثمود وهم قوم صالح عليه السلام، وقوم موسى، ومنهم قارون وفرعون وهامان؛ ممن كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وألَّه سبحانه تعالى عاقبهم بالمصائب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42]، والمعنى أن الله تعالى عاقبهم بمصائب منها: الفقر، والضيق في العيش، والأمراض والأسقام، والآلام³⁵، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31]، وهو ما يصيب الكُفَّار من المصائب والعذاب في الدنيا، بسبب تكذيبهم للرَّسُول - صلى الله عليه وسلم³⁶، وقال تعالى: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: في معنى العذاب الأدنى "مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا"³⁷.

³² ينظر: نضرة النعيم من أخلاق النبي الكريم، مجموعة من العلماء، ج1/8

³³ ينظر: فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، ص 19، 21

³⁴ ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص432.

³⁵ ينظر تفسير ابن كثير، ج3/256

³⁶ ينظر تفسير ابن جرير، ج13/539، وتفسير أبو السعود، ج5/23

³⁷ تفسير ابن جرير، ج18/627

وعاقب الله تعالى قوم نوح -عليه السلام- بالطوفان والغرق، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، وقال سبحانه: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25].

وقال الله تعالى بعد ذكر عاد، وثمود، وقارون، وفرعون، وهامان: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]، فعاقبهم الله تعالى بسبب ذنوبهم وتنوعت عقوباتهم.

فعاقب الله - عز وجل - فرعون ومن معه بالغرق، قال الله تعالى: ﴿وَجَؤْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُوْدُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، كما عاقبهم الله تعالى بالقحط والجوع، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مَتِّ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 130].

وعاقب الله سبحانه قوم لوط -عليه السلام-، وعاقب عاداً - وهم قوم هود - عليه السلام - برفع قراهم وقلبها بهم، ثم أتبع ذلك بامطارهم بحجارة من السماء³⁸، وهي الحاصب³⁹، وجاء في معنى الحاصب: أنها الريح التي تحمل الحجارة⁴⁰، كما عاقبهم بالريح الشديدة الباردة، قال الله تعالى عن عقوبة قوم لوط -عليه السلام-: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْصُودٍ﴾ [هود: 82]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ حَظَيْنَاهُمْ لِمَنِ اسْتَحْسَنُوا﴾ [القمر: 34]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَاهْتَكُوا بِرِجِّ صَرَصِرٍ عَاطِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، وهي الريح "الشديدة العصفوف مع شدة بردها"⁴¹، وعاقب الله تعالى ثمود، وهم قوم صالح -عليه السلام-، بالرجفة

³⁸ ينظر تفسير ابن عطية، ج 3/197، وتفسير أبو السعود، ج 4/230.

³⁹ ينظر: تفسير ابن كثير، ج 7/480، وتفسير القرطبي، ج 10/292 وتفسير أبو السعود، ج 9/7.

⁴⁰ ينظر: تفسير ابن الجوزي، ج 3/38-39، وتفسير القرطبي، ج 17/143.

⁴¹ تفسير الطبري، ج 23/209.

التي كانت بسبب الصيحة⁴²، كما أخبر عنهم في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أُنْتَيْنَا إِذْ نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿[الأعراف: 77-78]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿[هود: 66-67]، وعاقب الله سبحانه قارون -وهو من قوم موسى- عليه السلام -بالخسف، قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: 81]⁴³.

وحذر نبي الله شعيب -عليه السلام- قومه عاقبة تكذيبهم إياه، أن يصيبهم من العقوبة مثل ما أصاب القوم السابقين ممن كذبوا رسلهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا يَحْزِمُهُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89]، فكذبوه فعاقبهم الله تعالى بأنواع من العقوبات منها الرجفة التي كانت بسبب الصيحة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿[هود: 94]44، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيْنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ۝﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿[الأعراف: 90-91]45، ومنها عذاب يوم الظلة، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 189]، والظلة هي: "سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب"⁴⁶.

⁴² ينظر: تفسير ابن كثير، ج3/442

⁴³ ينظر: تفسير ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج331-332، وتفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6/256-257

⁴⁴ ينظر: تفسير ابن جرير، ج12/559، وتفسير ابن كثير، ج3/449

⁴⁵ ينظر: تفسير ابن كثير، ج3/448-449

⁴⁶ المصدر السابق، ج3/349

وحذر الله تعالى الكفار الذين كذبوا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب الذين قبلهم ممن كذبوا الرسل السابقين، وأن عليهم أن يعتبروا بحالهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [آل عمران: 10-11]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝﴾ [الأنعام: 6]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝﴾ [غافر: 21]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۝﴾ [محمد: 10].

ومن المصائب ما يكون اختباراً وابتلاءً من الله تعالى لرسله وأنبيائه - عليهم السلام -، أو للمؤمنين لتكفير سيئاتهم، أو لرفعة درجاتهم، أو للتمحيص والتمييز بين المؤمن الصادق وغيره، أو عقوبة على الذنوب والمعاصي، فمن ما وقع بلاء للرسل عليهم، ما وقع من بلاء لنبي الله أيوب عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَىٰ مَسْنَىٰ الضُّرِّ وَأَنَّتْ آرْحَمُ الرَّحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالِينَ ۝﴾ [الأنبياء: 83-84]، ومن ذلك ما وقع لنبي الله يوسف - عليه السلام - من دخول السِّجْن كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝﴾ [يوسف: 42]، ومن ذلك ما وقع لنبي الله يعقوب - عليه السلام - من الحزن بسبب فراقه لولده يوسف - عليه السلام -، قال الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝﴾ [يوسف: 84]، وما وقع لنبي الله يونس - عليه السلام -، من ابتلاع الحوت له، قال الله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝﴾ [الصافات: ١٤]، وما وقع لنبي الله إبراهيم - عليه السلام - من إلقائه في النار، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالَهُتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝﴾ [١٨] ﴿فَلَمَّا يَنْزَلُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: 68-69]، ومن ذلك أمره بذبح ابنه، كما في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ

قَالَ يَبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَابَعِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿[الصافات:102].

وفي المصائب التي تقع ابتلاءً وتمحيصاً للمؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 155-156]⁴⁷، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214]، وكان ذلك ما وقع للمسلمين من كرب يوم الخندق⁴⁸، ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنُلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: 166-167]، وهو ما أصاب المسلمين يوم أحد من الهزيمة والجراح والقتل⁴⁹، ويقول سبحانه: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-3]⁵⁰، ويقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31].

ومن المصائب ما يكون بسبب الذنوب والمعاصي، عقوبةً عليها، كما في قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 49]، والمعنى: أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم⁵¹، وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ

⁴⁷ ينظر: تفسير القرطبي، ج2/173

⁴⁸ ينظر: تفسير البيهقي، ج1/244-145

⁴⁹ ينظر: تفسير ابن جرير، ج6/220

⁵⁰ ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج6/509

⁵¹ ينظر تفسير ابن جرير، ج8/501، وتفسير القرطبي، ج6/214

الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿[النحل: 112]﴾، وهو ما وقع لكُفَّار مكة من الجوع لما كَذَّبُوا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁵²-، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، والمعنى أَنَّ الله سبحانه عاقبهم بالهلاك في الدنيا بسبب كفرهم وتكذيبهم للرسول⁵³، وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: 51]، والمعنى: أَنَّ المشركين الذين كانوا قبل مشركي قريش ممن كَذَّبُوا الرُّسُلَ عاقبهم الله تعالى في الدنيا بما كَسَبُوا من الأعمال، وَأَنَّ مشركي قريش سيصيبهم مثل ما أصاب الذين من قبلهم⁵⁴، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْصِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165]، وكان ذلك ما وقع للصَّحَابَةِ -رضي الله عنهم- من الهزيمة يوم أحد، بسبب مخالفة الرُّمَّةَ لأمر النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-⁵⁵، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْمَلُوا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، قال ابن عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: "أمر الله - عزَّ وجل - المؤمنين أَنْ لَا يَقْرُؤُوا المنكر بين أظهرهم فيعمَّهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم"⁵⁶.

المطلب الثاني: أنواع المصائب في السُّنَّة النَّبَوِيَّة.

تناولت السُّنَّة النَّبَوِيَّة المصائب، وأسباب وقوعها، وأنواعها: فمنها العام، ومنها الخاص، ومنها ما يكون عقوبةً، وهي ما تكون بسبب الذنوب والمعاصي، ومنها ما يكون ابتلاءً واختباراً وتمحيصاً، ومنها ما يحصل به تكفير الذنوب ورفع الدرجات، كما تناولت السُّنَّة النَّبَوِيَّة وجوب الصبر على الابتلاء، وأسباب رفع المصائب والبلاء.

ومن المصائب ما يقع عقوبة للكفار على تكذيبهم للرسول؛ فمن ذلك ما وقع لقريش عندما دعا عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لما ألحقوه به وبأصحابه من الأذى، ولَمَّا قاموا به من الصدِّ عن دعوته، كما جاء في الحديث: "أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، دَعَا عَلَيْهِمْ

⁵² ينظر تفسير ابن جرير، ج 14/382-283، وتفسير القرطبي، ج 10/194.

⁵³ ينظر تفسير ابن جرير، ج 10/333، وتفسير ابن كثير، ج 3/451.

⁵⁴ ينظر تفسير ابن جرير، ج 20/222-223.

⁵⁵ ينظر: تفسير القرطبي، ج 4/264-265.

⁵⁶ تفسير البغوي، معالم التنزيل، ج 3/346.

بِسَيْنِينَ كَسَيْنِي يُوسُفَ، فَاصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعُظَامَ⁵⁷، وَفِي رَوَايَةِ الْبَخَارِيِّ: "فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَتْ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجَيْفَ، وَيَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ"⁵⁸.

ومما يكون ابتلاءً واختباراً من المصائب: ما يقع للأنبياء والرسل والمؤمنين، وأن الرسل والأنبياء عليهم السلام أشد الناس بلاءً، فعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُدَيْفَةَ، عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُوذُ فِي نِسَاءٍ، فَإِذَا سِقَاءٌ مَعْلَقٌ نَحْوَهُ، يَقْطُرُ مَاءُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَى، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"⁵⁹، وَفِي رَوَايَةٍ: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، ثُمَّ الْأَمَمُ فَالْأَمَمُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، فَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ"⁶⁰، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ [بن مسعود] قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: "أَجَلْ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ". قُلْتُ: ذَلِكَ بَأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"⁶¹.

ومن ذلك ما وقع لنبي الله أيوب -عليه السلام- ففي الحديث: "إِنْ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَحْصَى إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ

⁵⁷ أخرجه مسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب صفة القيامة، باب الدخان، برقم (2798)، ج4/2156.

⁵⁸ أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اجعلها عليهم سنين كسنيين يوسف" برقم (962)، ج1/341.

⁵⁹ أخرجه أحمد في المسند، واللفظ له، برقم (27079) ج45/10، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب الطب، عيادة النساء، برقم (7454)، ج7/53، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (627)، ج24/245، والحاكم في المستدرک، برقم (8231)، ج4/448، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (1562) ج1/325.

⁶⁰ أخرجه الطحاوي، في شرح مشكل الآثار، واللفظ له، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوابه سعد بن أبي وقاص لما سألته: من أشد الناس بلاء، برقم (2203)، ج5/455، وأحمد في المسند، برقم (1481)، ج3/78، والحاكم في المستدرک، في كتاب الإيمان، برقم (121)، ج1/100، وابن حبان في صحيحه، في النوع الثاني: ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن البلاء يكون بالأنبياء أكثر، ثم الأمثل فالأمثل في الدين، برقم (577)، ج1/415، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (992)، ج1/230-231.

⁶¹ أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب أشد الناس الأنبياء ثم الأول فالأول، برقم (5324) ج5/2139، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، برقم (2571)، ج4/1991.

إِلَيْهِ وَيَرْوَحَانِ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَعْلَمُ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ فَيَكْشِفْ عَنْهُ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا يَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَزَّعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرْ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةً أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ، قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتْ أَمْرَأَتُهُ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا وَأَوْجَى إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنْ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42]، فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَلَقِيَتْهُ يَنْتَظِرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ، قَالَتْ: أَيُّ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَاللَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا، قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أُتْدَرَانِ⁶²: أُنْدَرُ لِلْقَمْحِ، وَأُنْدَرُ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أُنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَعَتْ فِيهِ الدَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَعَتْ الْأُخْرَى عَلَى أُنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ⁶³ حَتَّى فَاضَ⁶⁴.

ومن ذلك ما وقع لنبيِّ الله يوسف -عليه السلام- من السجن، وفي ذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ"^{65 66}.

⁶² الأُنْدَرُ: التَّبْنُزُ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُدَاسُ فِيهِ الطَّعَامُ بِلُغَةِ الشَّامِ، غريب الحديث، ابن الأثير، ج1/74

⁶³ الورق بكسر الراء، وقد تسكن: القِضَّة، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5/175.

⁶⁴ أخرجه البزار في مسنده، واللفظ له، في مسند أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم(6333)، ج28/13، وأبو يعلى، في مسنده، برقم (3617)، ج351/5، وابن حبان في صحيحه، في ذكر الخبر الدال على أن من امتحن بمحنة في الدنيا فتلقاها بالصبر والشكر يرجي له زوالها عنه في الدنيا مع ما يدخر له من الثواب في العقبى، برقم (572) ج412/1-413، وبرقم(3083)، ج84/4، والحاكم في المستدرک، في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر نبي الله بن أموص نبي الله المبتلى، برقم (4157)، ج259-260، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (17)، ج53-54.

⁶⁵ الداعي الذي دعا يوسف عليه السلام للخروج من السجن، يعني لأسرعت في الخروج، وصفه بشدة الصبر، يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأَلُ الْيَسْرَةِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافِرٍ﴾ [يوسف: 50]، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج6/413.

⁶⁶ أخرجه البخاري، واللفظ له، من حديث أبي هريرة، في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهُمْ عَنْ ضَيْفٍ إِتْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: 51]، برقم (3192)، ج1233-1234، ومسلم في كتاب الإيمان، باب زيادة طمانينة القلب بتظاهر الأدلة، برقم (151)، ج1/133.

ومن ذلك ما أخبر عنه النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - مما وقع من البلاء للمؤمنين من الأمم السابقة، كما في حديث خُباب بن الأرت قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَمِيرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمِّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"⁶⁷.

ومما ورد من أَنَّ المصائب والبلاء الذي يصيب المؤمنين، يكون سبباً لتكفير الذنوب والخطايا، ورفعة للدرجات عند الصبر عليها والرضا بها، قوله - صَلَّى الله عليه وسلم -: "إِنَّ عَظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"⁶⁸، وقوله - صَلَّى الله عليه وسلم -: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"⁶⁹، وفي رواية: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"⁷⁰، وقوله - صَلَّى الله عليه وسلم -: "مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"⁷¹، ومما يدل على رفعة درجات المؤمن بالمصائب قوله صَلَّى

⁶⁷ أخرجه البخاري، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (3416)، ج3/1322، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب: ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة، برقم(3639)، ج3/1398.

⁶⁸ أخرجه الترمذي، واللفظ له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم(2559)ج4/405، وقال عنه: "حسن غريب من هذا الوجه"، وابن ماجه، في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم(4031)ج5/159، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (146)، ج1/276.

⁶⁹ أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل، برقم (5324)، ج5/2139.

⁷⁰ أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، برقم (5336)، ج5/2143، ومسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، برقم(2571)، ج4/1991.

⁷¹ أخرجه الترمذي، في سننه، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في أبواب الزهد عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم(2562)، ج4/406، وابن جبان في صحيحه، ذكر البيان بأن البلاء بالمرء قد تحط خطاياها بها، برقم (4584)، ج5/378، والحاكم في المستدرک، في كتاب الرقائق، برقم (8116)، ج9/27، وصححه في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم(5815)، ج2/1012.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمُنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ، حَتَّى يَبْلُغَهُ إِيَّاهَا"⁷².

ويمكن أن يُمثَّل للمصائب التي تصيب المؤمنين، فيكفر الله تعالى بها سيئاتهم، ويرفع بها درجاتهم، ما وقع من طاعون عمواس⁷³، سنة ثمانى عشرة من الهجرة، والذي مات بسببه خمسة وعشرون ألفاً من المسلمين، فيهم سادات الصحابة، منهم: معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، والفضل بن العباس، وغيرهم⁷⁴، وما وقع للمسلمين من الفقر والجوع في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فيما سُمِّيَ بعام الرُمادة، وهو في نفس العام الذي وقع فيه الطاعون⁷⁵.

واختلف العلماء في المصائب هل هي كفارات فقط أم أنَّ العبد يثاب عليها؟ إلى أقوال وهي⁷⁶:
الأول: أنها كفارات ويثاب عليها المسلم وهو قول الجمهور.

الثاني: أنها مكفّرات للذنوب فقط، وأنَّ التَّوَابَ إنما يكون على الصبر عليها⁷⁷.

الثالث: أنها إذا كانت متولدة عن عمل صالح فيثاب عليها، كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمَّا الأمراض فإنَّها تُكفِّر الذنوب، ويؤجر على الصبر عليها⁷⁸.

ومن المصائب العامة ما يقع بسبب الذنوب والمعاصي؛ عقوبةً عليها، وقد دلَّ على ذلك حديث زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها يوماً فَرَعَاً يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ"، وَحَلَّقَ بِاصْبِعِهِ الْأَبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ

⁷² أخرجه أبو يعلى في مسنده، واللفظ له، في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (6095)، ج 8/ 212-213، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر البيان بأن العبد قد يكون له عند الله المنازل في الجنان فلا يبلغها إلا بالمحن والبلايا في الدنيا، برقم (575)، ج 1/ 414، والحاكم في المستدرک، في كتاب الصلاة، من صلاة الجنائز، برقم (1288)، ج 2/ 303، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل ما ذكر ما جاء في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، عن أبي هريرة، برقم (9392)، ج 12/ 277، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (حسن صحيح)، برقم (3407)، ج 3/ 331..

⁷³ عمواس: قرية بالشام بين الرملة وبيت المقدس، ونسب إليها الطاعون؛ لأن بدايته كانت منها، ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج 10/ 76.

⁷⁴ ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج 9/ 64، ج 10/ 76.

⁷⁵ ينظر: المصدر السابق، ج 9/ 660، ج 10/ 68.

⁷⁶ ينظر: تسليق أهل المصائب، محمد بن محمد المنجي، ص 171-175.

⁷⁷ وهو رأي العز بن عبد السلام، وابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج 1/ 135، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص 155، و ص 174.

⁷⁸ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ينظر: مجموع الفتاوى، ج 10/ 124.

الْخَبَثُ"⁷⁹، والمراد بالخَبَث: الفسوق والفجور والمعاصي، والمعنى أَنَّ الله سبحانه يهلك الجميع بمن فيهم من الصالحين، عند كثرة المعاصي في المجتمع وانتشارها⁸⁰، ومما يدل على ذلك حديث أم سلمة -رضي الله عنها- أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إِذَا ظَهَرَ الشَّرُّ فِي النَّارِضِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَسْهُ بِأَهْلِ النَّارِضِ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ صَالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسُ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ"⁸¹، وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ"⁸²، وفي رواية أبي داود: "إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا"⁸³، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ، حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ"⁸⁴، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ

⁷⁹ أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم (3168)، ج3/1221، ومسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب (اقتران) [وفي نسخة غيره (اقتراب) وهو الأظهر] الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم (2880)، ج4/2208.

⁸⁰ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج13/60، ج13/109.

⁸¹ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، واللفظ له، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، برقم (891)، ج23/3377، وأحمد في المسند برقم (26527)، ج44/128، وبرقم (26596)، ج44/216، والحاكم في المستدرک، في كتاب الفتن، برقم (8848)، ج9/508، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج10/218، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (860)، ج1/178.

⁸² أخرجه أحمد، في مسنده، واللفظ له، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، برقم (19230)، ج31/557-558، وأبو داود في سننه، في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (4339)، ج6/395، وابن ماجه، في سننه، في أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (4009)، ج5/142، وابن حبان، في صحيحه، ذكر استحقاق القوم الذين لا يأمرن بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر عن قدرة منهم عليه عموم العقاب من الله جل وعلا، برقم (2864)، ج3/517، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (5749)، ج2/1002.

⁸³ أخرجه أبو داود في سننه، عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (4339)، ج6/395.

⁸⁴ أخرجه أحمد في مسنده، واللفظ له، في مسند عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه، برقم (17720)، ج29/258، والبغوي في شرح السنة، برقم (4155)، ج14/346، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (343)، ج17/138، والطحاوي في مشكل الآثار، برقم (1175)، ج3/214، وقال عنه شعيب الأرناؤوط: -محقق مسند أحمد- حسن لغيره.

عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ"⁸⁵، وقوله صَلَّى الله عليه وسلم: " وَاللَّيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يُسْتَجِيبُ لَكُمْ "⁸⁶.

وهناك بعض المصائب العامة تكون عقوبات بسبب ذنوب معينة فمن ذلك ما ورد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذ بالله أن تدرِكوهنَّ لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتَّى يعلنوا بها إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ إلَّا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلَّا مُنعوا القطرَ من السماء ولولا البهائم لم يُعطروا ولم ينقصوا عهدَ الله وعهدَ رسوله إلَّا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكُم أنتمهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم"⁸⁷، وقوله صَلَّى الله عليه وسلم: "مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ إلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ"⁸⁸، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَسَفٌ وَمَسَخٌ وَقَذْفٌ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: "إِذَا

⁸⁵ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، واللفظ له، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) [المائدة: 105]، برقم (11092)، ج 8/10، وأحمد، في مسنده، برقم (53)، ج 1/221، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (4006)، ج 5/140، وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن المتأول للأي قد يخطئ في تأويله لها وإن كان من أهل الفضل والعلو، برقم (4512)، ج 5/344، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (1974)، ج 378/1.

⁸⁶ أخرجه أحمد، في مسنده، واللفظ له، في مسند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، برقم (23301)، ج 38/332، والترمذي، في سننه، في أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (2309)، ج 4/243، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب أدب القاضي، باب ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولاة مما يكون أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر من فروض الكفايات، برقم (20202)، ج 20/250، ج 14/345، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (7070)، ج 2/1189.

⁸⁷ أخرجه ابن ماجه، واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في أبواب الفتن، باب العقوبات، برقم (4019)، ج 5/150، والطبراني في المعجم الأوسط، برقم (4671)، ج 5/61، والبيهقي، في شعب الإيمان، في الزكاة، فصل التشديد على من منع زكاة ماله، برقم (3042)، ج 5/22-23، والحاكم في كتاب الفتن، برقم (8878)، ج 9/539-540، والبرز في مسنده، في مسند عبد الله بن عمر، برقم (6175)، ج 12/315، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7978) ج 2/1321.

⁸⁸ أخرجه الحاكم في المستدرک، في كتاب الجهاد، من حديث بريدة بن الحبيب، عن أبيه رضي الله عنهما، برقم (2606) ج 3/441، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الجزية، باب الوفاء بالعهد إذا كان العقد مباحاً وما ورد من التشديد في نفسه، برقم (18882)، ج 19/156-157، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (2417) ج 2/621.

ظَهَرَتِ الْقِيَانُ⁸⁹ وَالْمَعَارِيفُ وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ⁹⁰، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: " يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الْخَبْثُ"⁹¹، وقوله - صَلَّى الله عليه وسلم -: " لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ"⁹² وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِيفَ⁹³، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ⁹⁴، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ⁹⁵ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ⁹⁶، يَا تَيْبِهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ⁹⁷، وَيَضَعُ الْعِلْمَ⁹⁸، وَيَمْسُخُ⁹⁹ آخَرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ¹⁰⁰.

⁸⁹ القيان: جمع مفردهما قَيْنَة، والقَيْنَة: الأمة غَنَّتْ أَوْ لَمْ تُغَنَّ، والماشِطَة، وكثيرًا ما تُطْلَقُ عَلَى الْمُغْنِيَةِ مِنَ الْإِمَاءِ، وَجَمْعُهَا: قَيْنَات، وَتُجْمَعُ عَلَى: قِيَانٍ أَيْضًا. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج4/ 135.

⁹⁰ أخرجه الترمذي، في سننه، في أبواب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، برقم (2359)، ج4/275-276، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (4273)، ج2/786-787، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير، من حديث ربعة الجرشي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، بلفظ: "يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْخُسْفُ وَالْمَسْخُ وَالْقَذْفُ" قُلْنَا: فِيمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "بِإِخَادِهِمُ الْقَيْنَاتِ، وَشَرِبِهِمُ الْخُمُورَ" برقم (3410)، ج3/279، وابن عساکر في تاريخ دمشق، برقم (5536)، ج48/50-51.

⁹¹ أخرجه الترمذي واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها، في أبواب الفتن، باب ما جاء في الخسف، برقم (2330)، ج4/256، وأبو يعلى في مسنده، برقم (4693)، ج6/595-596، وصحَّحه الألباني، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (8156)، ج2/1355.

⁹² الفرج، والمعنى يستحلون الزنا .

⁹³ آلات اللهو .

⁹⁴ جبل أو هو رأس الجبل.

⁹⁵ أي راعيهم.

⁹⁶ بغنم .

⁹⁷ يهلكهم الله في الليل.

⁹⁸ يدك الجبل ويوقعه على رؤوسهم.

⁹⁹ يغيّر خلقتهم وقيل أخلاقهم .

¹⁰⁰ أخرجه البخاري، في كتاب الأشرية، عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، برقم (5268)، ج5/2123.

¹⁰¹ ينظر لشرح الكلمات الواردة في الحديث: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج55/56.

وتناولت السُّنة النبوية أسباب دفع المصائب والبلاء، أو رفعه بعد وقوعه؛ فمن ذلك الدعاء كما ورد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "من سرَّه أن يستجيبَ الله له عندَ الشَّدائدِ والكُربِ، فَلْيُكثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرِّخَاءِ"¹⁰²، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يُنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ، فَيَكَلِّفُهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"¹⁰³، ومن ذلك الصَّدقة، كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ"¹⁰⁴.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالمصائب

المطلب الأول: دلالة المصائب على وجود الله تعالى وربوبيته

المسألة الأولى: دلالة المصائب على وجود الله تعالى:

مسألة وجود الله تعالى من المسائل القطعية، والتي دلت عليها الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

1- أما دلالة الفطرة على وجوده سبحانه فكل مخلوق فُطِرَ على الإيمان بخالقه، ولا ينحرف عن هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يحرفه عنها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفُطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"¹⁰⁵.

2- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى، فلأن هذه المخلوقات التي نراها: لا بدُّ لها من خالق، فلا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يُوجدُها العدم، كما لا يمكن أن توجد صدفة.

لا تخلق نفسها بنفسها؛ لأنها قبل وجودها كانت معدومة فكيف تكون خالقةً لنفسها؟! ولا يُوجدُها العدم؛ لأنَّ العدم ليس بشيءٍ حتَّى يخلق، ولا يمكن أن توجد صدفة، لأنَّ كل مخلوق لا بد له من

¹⁰² أخرجه الترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أنَّ دعوة المسلم مستجابة، برقم (3679)، ج 6/13، وأبو يعلى، في مسنده، في مسند أبي هريرة، برقم (6396)، ج 8/545، والحاكم في المستدرک، في كتاب الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر، برقم (2016)، ج 3/117، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (6290)، ج 2/1078.

¹⁰³ أخرجه الحاكم في المستدرک، واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها، في كتاب الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر، برقم (1830)، ج 3/13، وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد، والطبراني في المعجم الأوسط، برقم (2498)، ج 3/66، والبرار في مسنده، برقم (72)، ج 18/119، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (7739)، ج 2/1279.

¹⁰⁴ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، برقم (8014)، ج 8/261، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (889)، ج 1/532.

¹⁰⁵ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، عن أبي هريرة رضي الله عنه، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلَّى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (1292) ويرقم (1293)، ج 1/456-457، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (2658)، ج 4/2047.

خالق، ولأن وجودها بهذا النظام البديع يمنع وجودها صدفة، فإذا لم تخلق نفسها بنفسها، ولم يخلقها العدم، ولم تُوجد صدفة، تعين أن يكون لها خالق، وهو الله سبحانه تعالى.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، والبرهان القطعي، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: 35]، يعني: أنهم لم يُخلَقوا من العدم، ولا هم خلقوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون لهم خالق، وهو الله تعالى، ولهذا لما سمع جببر بن مطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ [سورة الطور: 35-37]، وكان جببر يومئذ مشركاً قال: "كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي"¹⁰⁶.

ولو أُخبر الإنسان عن قصر جميل البناء، بديع في بنائه، وقيل له: إن هذا القصر أوجد نفسه بنفسه، أو وُجد صدفة؛ لما صدق ذلك، فكيف يمكن بعد ذلك يعتقد أن هذا الكون بنظامه الدقيق، خلق نفسه بنفسه، أو وُجد صدفة، من غير خالق.

3- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب الإلهية، المتضمنة لمصالح العباد في دينهم ودنياهم، تدل على أنها منزلة من إله حكيم عليم بمصالح خلقه، وفيما جاءت من الأخبار التي شهد الواقع بصدقها؛ تدل على أنها من رب خالق قدير.

4- وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين: أحدهما: ما يسمعه الناس ويشاهدونه من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء: 76]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: 9]، وكان ذلك يوم بدر.

ومن ذلك دعاؤه -صلى الله عليه وسلم- على المنبر يوم الجمعة، وطلب السُّقيا، عندما شكى إليه أعرابي هلاك المال وجوع العيال، ولم تكن في السماء سحابة حينذاك، فلم ينزل من المنبر حتى نزل المطر، واستمر نزوله أسبوعاً¹⁰⁷، ولا يزال الناس يرون ويسمعون عن إجابة الله تعالى لدعاء الداعين، وإغاثة المكروبين.

¹⁰⁶ أخرجه البخاري، عن جببر بن مطعم رضي الله عنه، في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بداراً، برقم (3798)، ج4/1475، وفي كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة والطور برقم (4573) ج4/1839.

¹⁰⁷ ينظر الحديث الذي أخرجه البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب الجمعة، بابُ الإِسْتِسْقَاءِ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، برقم (891)، ج1/315، ومسلم في كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم (898)، ج2/614.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى؛ تأييداً لرسله، ونصراً لهم.

فمن ذلك فلق البحر لموسى عليه السلام عندما أمره الله تعالى أن يضربه بعصاه، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء: 63].

ومن ذلك انشقاق القمر لنبيينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، عندما طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر؛ فانفلق فرقتين، فرآه الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ ۖ وَلَئِنْ رَأَوْا آيَةً يَعْزِبُوا وَيَنْهَوُا سِحْرَ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [سورة القمر: 1-2]، فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى؛ تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى¹⁰⁸.

وأما دلالة المصائب على وجود الله تعالى؛ فهي من جهة أن الله تعالى هو خالق هذه المصائب وموجدتها، فلا يمكن أن توجد من العدم، كما أنها لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ فتعيّن أن يكون لها خالقاً وموجداً؛ وهو الله تعالى، فوجود المصائب يدل على وجود خالقها، وهو الله عز وجل، وهو سبحانه خالق جميع المخلوقات في هذا الكون، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر: 62].

وفي وقوع المصائب في الكون حُجّة على الملحدّين، المنكرين لوجود الله تعالى؛ فهذه المصائب التي تقع في الكون بسبب الزلازل، والأعاصير، والفيضانات، والحرائق، والحروب، والأوبئة، وغيرها، والتي تقع بسببها الأضرار الكثيرة، ويهلك بسببها الملايين من البشر، سواء ما وقع منها في الماضي، أو ما يقع الحاضر، أو ما سيقع في المستقبل، لا يمكن أن تقع بدون خالق وموجد لها، فلا بد من خالق وموجد لها، فلا يمكن أن يوقعها ويوجدتها العدم، كما لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، وبهذا يتعيّن أن لها خالق وموجد وهو الله -تبارك وتعالى-، ووجب على الملحدّين الإقرار بوجود الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102].

¹⁰⁸ ينظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، محمد بن صالح بن عثيمين، ص 34 - 37

المسألة الثانية: دلالة المصائب على توحيد الربوبية:

تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً :

تعريف التوحيد لغة: التَّوْحِيد لغة مصدر من وَحَّد يُوحِّد توحيداً، جعله واحداً؛ إذا أفرد بالشئ، قال ابن فارس: "الواو والحاء والذال أصل واحد يدل على انفراد الشئ"¹⁰⁹، "والوحدة: الانفراد تقول: رأيتُه وحده"¹¹⁰.

التوحيد اصطلاحاً: عُرِفَ التوحيد اصطلاحاً بعدة تعريفات متنوعة؛ جميعها متفقة في مضمونها فمن هذه التعريفات: "إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات"¹¹¹. ويؤخذ من هذا التعريف أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

دلالة المصائب على توحيد الربوبية:

تعريف الربوبية لغة: الرب لغة: "الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم... ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا...وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله تعالى وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر"¹¹².

توحيد الربوبية اصطلاحاً: عُرِفَ بعدة تعريفات منها: "إفراد الله بالخلق والملك والتدبير"¹¹³، والمراد بتوحيد الربوبية، إفراد الله بأفعاله، مثل: الخلق والملك والتدبير، والرزق والإحياء والإماتة.

وأما دلالة المصائب على توحيد الربوبية وعلاقتها به عليه هي أن الله تعالى ربُّ كلِّ شيء في هذا الكون؛ وخالقه، والمدبر لكل شيء، ومسخره، ولا يقع شيء في الكون إلا بإرادته ومشيتته، والمصائب خلقها الله تعالى، وهي تقع بإرادته سبحانه ومشيتته، يصيب بها من يشاء، ويصرفها عمَّن يشاء، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، فهو سبحانه ربُّ هذا العالم، وخالقه، والمصائب من الأمور التي تقع في هذا العالم، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ

¹⁰⁹ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج 6/ 90.

¹¹⁰ الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2/ 547.

¹¹¹ القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن عثيمين ج 1/ 11.

¹¹² لسان العرب، ج 1/ 399-400.

¹¹³ مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين، ج 1/ 18، و ينظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ج 2/ 1.

بِأَمْرِهِ ^فأَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأعراف: 54]، وقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 49]، وهو سبحانه فعّال لما يريد، قال الله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 16]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ﴾ [الرعد: 11]، إلى غير ذلك من الآيات.

المطلب الثالث: دلالة المصائب على الإيمان بالقدر

المسألة الأولى: التعريف بالقدر والإيمان به.

تعريف القدر: القدر لغة: مصدر من الفعل "قَدَرَ يَقْدِرُ قَدْرًا، وقد تُسَكَّن دأله" ¹¹⁴.

قال ابن فارس: "القاف، والذال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه، ونهايته؛ فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قَدَرَهُ كَذَا أي مبلغه، وكذلك القدر، وقَدَرْتُ الشيء أَقْدِرُهُ وَأَقْدَرُهُ من التقدير" ¹¹⁵.

القدر اصطلاحاً: عُرِفَ القدر في الاصطلاح بعدة تعريفات منها: "هو تقدير الله تعالى للأشياء في القَدَم، وعِلْمُهُ سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيتته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقُهُ لها" ¹¹⁶.

ومعنى الإيمان بالقدر، هو: التّصديق الجازم بأن كل ما يقع في هذا الكون فهو بتقدير الله تعالى. والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38].

ومما يدل على وجوب الإيمان بالقدر قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ" ¹¹⁷، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال -صلى الله عليه وسلم-: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ

¹¹⁴ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج 4/22

¹¹⁵ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ج 5/62

¹¹⁶ القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، ص 39.

¹¹⁷ أخرجه مسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، برقم (8)، ج 1/36-38، وأبو داود في أول كتاب السنة، باب في القدر برقم (4695)، ج 7/80-81.

أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ¹¹⁸، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"¹¹⁹. وللايمان بالقدر أربع مراتب وهي: العلم، والكتابة، والمشئنة، والخلق¹²⁰.

المسألة الثانية: تقدير الله تعالى للمصائب:

المصائب تتنظمها مراتب الإيمان بالقدر الأربعة؛ فقد علم الله تعالى بوقوعها أزلاً، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء وقوعها، فهي واقعة بمشيئته تعالى، وخلقها وقدر وقوعها في الوقت المكتوب في اللوح المحفوظ.

فالله تعالى هو الذي خلق المصائب، وقدر وقوعها، وأسباب دفعها ورفعها، كل ذلك بقدر من الله تعالى، وكل ذلك معلوم في الأزل، ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]، وقال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]، "يقول تعالى مخبراً عن عموم قضائه وقدره: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر"¹²¹.

فيجب على المسلم أن يعتقد أنَّ الأمور كلها بيد الله تعالى، وطوع تدبيره وتسخير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا عاصم إلا الله، لا رادَّ لحكمه، ولا معقب لقضائه، قال الله

¹¹⁸ أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب احتجاج آدم وموسى، برقم (2653)، ج4/2044، والبغوي في شرح السنة، باب الإيمان بالقدر، برقم (67)، ج1/123.

¹¹⁹ أخرجه أبو داود، واللفظ له، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، في كتاب السنة، باب في القدر، برقم (4700)، ج7/86، وأحمد، في المسند، في مسند عبادة بن الصامت، برقم (22705)، ج378/379، والترمذي في أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (2294)، ج230/231، وفي أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (3607)، ج514/5، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (2018)، ج1/405.

¹²⁰ ينظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص 77-78، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص 247-248.

¹²¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص 842

سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 17].

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : "إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى قَدَّرَ أقداراً، وخلق الخلق بقدر، وقسَّم الآجال بقدر، وقسَّم الأرزاق بقدر، وقسَّم البلاء بقدر، وقسَّم العافية بقدر"¹²².

المسألة الثالثة: حكمة الله في تقدير المصائب:

للَّهِ سبحانه حِكْمٌ في أفعاله، فمن أسمائه الحسنَى الحكيم، ومن صفاته الحِكْمَةُ، وهي صفة ذاتية من صفاته تعالى، لا تنفك عن ذاته سبحانه، قال الله تعالى في كلامه عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

فأفعال الله وتقديره وخلقهِ وإيجاده؛ كلها صادرة عن حكمة عظيمة، لكنَّ حكمته سبحانه قد يعلمها الناس وقد تخفى عليهم، فَمِمَّا أخبر عنه سبحانه من حِكْمَتِهِ ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فهو سبحانه خلق الجنَّ والإنسَ لحِكْمَةٍ عظيمة، وهي عبادته سبحانه¹²³، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادِنَا﴾ [الأنبياء: 16]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: 27]، قال السَّعْدِي - رحمه الله تعالى - : "يخبر تعالى عن تمام حِكْمَتِهِ في خلقه السماوات والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلاً، أي: عبثاً ولعباً من غير فائدة ولا مصلحة.. وإدما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات والأرض، وأنَّ البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر"¹²⁴، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]¹²⁵، قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : "أنَّه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً؛

¹²² شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، ص 80

¹²³ ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج 7/713

¹²⁴ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص 712

¹²⁵ ينظر: تفسير الطبري، ج 23/82

ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دلّ كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تُحصى ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها¹²⁶.

ومن حكمة الله تعالى في المصائب أنها إنما تكون لبيان قدرته سبحانه، وعلمه، وعظمته، وجبروته، وضعف العباد وحاجتهم وفقرهم إليه، وتكون ابتلاءً، واختباراً، وتمحيصاً، أو تكون عقوبةً، أو لتكفير ذنوب المؤمنين، أو رفعة درجاتهم، أو لبيان حقيقة الحياة الدنيا، وأنها دار ابتلاء واختبار.

ومما يدل من المصائب على حكمة الله تعالى، وبيان قدرته، وعلمه، وجبروته، وعزّته، وقهره، وإنزال عقوبته بالكفار أو العصاة، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44]، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: 21-22]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: 47]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، وثبت في الحديث عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِينَ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]"¹²⁷، وعن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إِذَا ظَهَرَتْ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي، عَمَّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ نَاسٌ

¹²⁶ شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، ص 483

¹²⁷ أخرجه البخاري، في كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" برقم (4409) ج 4/1627، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (2583)، ج 4/1997-1998.

صَالِحُونَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَتْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أُولَئِكَ؟ قَالَ: يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ¹²⁸.

ومما يدل على أنَّ المصائب قد تكون عقوبة بسبب المعاصي، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، "يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزاً عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأنَّ ما يعفو الله عنه أكثر"¹²⁹، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]، "ومعنى قوله تعالى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس أي: بأنَّ النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي"¹³⁰، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ [النساء: 79]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنْتَ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أنَّ جميع الفساد في جوِّه ونباته وحيوانه، وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفاتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص؛ ما يجلب عليهم من الآلام، والأمراض، والأسقام، والطواعين، والقحوط،...أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضاً"¹³¹.

وفي بيان حكمة الاختبار والابتلاء، قال الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 55]، وقال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، "قال ابن زيد في قوله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

¹²⁸ أخرجه أحمد في المسند، واللفظ له، في مسند أم سلمة رضي الله عنها، برقم (26596)، ج 216/44، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (747)، ج 325/23، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم (7194)، ج 78/10، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح"، ج 268/7.

¹²⁹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ص 759.

¹³⁰ تفسير ابن كثير، ج 320/6.

¹³¹ زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 332/4.

وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ ﴿١٣٢﴾ قال: نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون¹³².

ومن حكم إنزال الله تعالى المصائب بعباده المؤمنين التمحيص، قال الله تعالى: ﴿أَمَرَ حَسْبُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلا إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214]، أو تكون الحكمة من المصائب تكفير سيئات المؤمنين، أو رفع درجاتهم، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"¹³³، وقال -عليه الصلاة والسلام-: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا غَمٍّ وَلَا أَذًى، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا خَطَايَاهُ"¹³⁴، وعن أنس -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"¹³⁵.

ومما ورد في رفعة درجات المؤمنين بالمصائب قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-"¹³⁶.

وقد يكون البلاء استعتاب من الله تعالى للعباد لعلهم يرجعوا إلى ربهم سبحانه، ويتوبوا إليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21]، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾ يقول: "مصائب

¹³² تفسير الطبري، ج 269/16.

¹³³ سبق تخريجه.

¹³⁴ أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى برقم (5318)، ج 2137/5.

¹³⁵ أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (2558)، ج 404/4، والطحاوي في مشكل الآثار، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤال العبد ربه أن يعذبه في الدنيا بما يعذبه في الآخرة، برقم (2050)، ج 592/5 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (308)، ج 1/118.

¹³⁶ أخرجه أبو داود في سننه، عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم، في كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب، برقم (3090)، ج 7/5-8، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الجنائز، باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض والأوجاع والأحزان؛ لما فيها من الكفارات والدرجات، برقم (6619)، ج 163/7، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (801)، ج 318/22، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (3409)، ج 3/332.

الدنيا وأسقامها وبلائها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا¹³⁷، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:42]، والمعنى: أن الله تعالى أصابهم بالمصائب في الأموال والأبدان، لعلهم يدعون الله تعالى¹³⁸، وقال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:168]، والمعنى: أن الله تعالى ابتلاهم بالخير، والشر، ومنه المصائب؛ حتى يتوبوا ويرجعوا إلى تعالى¹³⁹.

وفي بيان حقيقة الدنيا، وأنها دار ابتلاء يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء: 77]، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [البقرة: 4]، والمعنى: أنه يقاسي مصائب وشدائد الدنيا والآخرة¹⁴⁰، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"¹⁴¹، وقوله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ"¹⁴².

ومما سبق يمكن القول بأن الحكمة من وقوع المصائب، بيان قدرة الله تعالى، وعظمته، وجبروته، وبيان ضعف وفقر وحاجة العباد إليه سبحانه، وقد تكون الحكمة من المصائب، عقوبة للكفار والعصاة من المسلمين، وقد تكون ابتلاء واختباراً من الله تعالى للمؤمنين، أو لتكفير السيئات، أو رفعة الدرجات، أو لبيان حقيقة الحياة الدنيا، وأنها دار اختبار وبلاء، وقد تجتمع فيها أكثر من حكمة من تلك الحكم.

¹³⁷ تفسير الطبري، ج 6/18/2.

¹³⁸ ينظر: تفسير ابن كثير، ج 3/256، وتفسير القرطبي، ج 6/424.

¹³⁹ ينظر: تفسير أبي السعود، ج 3/287-288، وتفسير الطبري، ج 10/534، وتفسير البغوي، ج 3/295.

¹⁴⁰ ينظر: تفسير ابن عطية، ج 5/484، وتفسير البغوي، ج 8/430.

¹⁴¹ أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، عن أبي هريرة رضي الله عنه، باب، برقم (2956)، ج 4/2272، والترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، برقم (2477)، ج 4/358، وأحمد في مسنده، برقم (8289)، ج 14/44، وابن ماجه في أبواب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم (4113)، ج 5/232.

¹⁴² أخرجه مسلم، واللفظ له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبح أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة، برقم (2807)، ج 4/2162، وأحمد في مسنده، برقم (13112)، ج 20/378، وابن ماجه، في أبواب الزهد، باب صفة النار، برقم (4321)، ج 5/372-373.

المسألة الرابعة: الصبر على المصائب:

تعريف الصبر: الصبر لغة: هو الحبس¹⁴³.

الصبر اصطلاحاً: وردت له عدة تعريفات منها: "هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"¹⁴⁴، ومنها: "حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه"¹⁴⁵، ومنها: "هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره"¹⁴⁶. والصبر ثلاثة أقسام وهي: الأول: الصبر على الطاعة، والثاني: الصبر عن المنهي، والثالث: الصبر على المصائب¹⁴⁷.

ومن الإيمان بالقدر الصبر على المصائب والبلاء، وعلى أقدار الله تعالى المؤلمة، وهو واجب¹⁴⁸، ومن ذلك الصبر على تقدير الله تعالى لوقوع المصائب، ويتأكد الصبر في حق المصاب، ومما يدل على وجوبه قوله سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، وفي قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

وقد مدح الله سبحانه الصابرين على المصائب، ووعدهم بعظيم الأجر والثواب في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، ومدح الله تعالى نبيه أيوب -عليه السلام- في صبره على المرض والبلاء بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا دُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 34-34]، إلى غير ذلك من الآيات.

¹⁴³ ينظر: الصحاح للجوهري، ج2/706؛ لسان العرب، لابن منظور، ج4/438

¹⁴⁴ التعريفات، الجرجاني، ص 131

¹⁴⁵ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 474

¹⁴⁶ رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ص 20

¹⁴⁷ ينظر: قاعدة في الصبر، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 78

¹⁴⁸ ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج8/191، ج11/260

ومما ورد في السنة مما يدل على وجوب الصبر على المصائب، حديث جبريل -عليه السلام-: وفيه "وَتُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ"¹⁴⁹، ومن الإيمان بالقدر الصبر على المصائب؛ فعن صهيب بن سنان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ"¹⁵⁰، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ عَظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ"¹⁵¹.

ولهذا يجب على المسلم أن يصبر على ما قدره الله تعالى من المصائب .

المسألة الخامسة: الرضا والتسليم بالمصائب:

من الإيمان بالقدر التسليم بالقدر والرضا به؛ لأنه من عند الله تعالى، ومن ذلك ما قضاه الله تعالى من وقوع البلاء والمصائب؛ فعلى المسلم الرضا والتسليم بما قدر الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، قال ابن جرير -رحمه الله تعالى-: "يقول تعالى ذكره: لم يصب أحداً من الخلق مصيبة إلا بإذن الله، يقول: إلا بقضاء الله وتقدير ذلك عليه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه"¹⁵²، قال علقمة بن قيس: "هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من قبل الله تعالى فيسلم ويرضى"¹⁵³، وعن ابن عباس -رضي الله عنه-: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"¹⁵⁴.

¹⁴⁹ سبق تخريجه.

¹⁵⁰ أخرجه مسلم، واللفظ له، في كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم(2999)، ج4/2295، وأحمد في مسنده، برقم (18934)، ج31/264، وابن حبان، ذكر إثبات الخير للمسلم الصابر عند الضراء، والشاكر عند السراء، برقم(593)، ج1/423، والطبراني في المعجم الكبير، برقم(7316)، ج8/40، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في تعديد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها، برقم(4169)، ج6/276.

¹⁵¹ سبق تخريجه.

¹⁵² تفسير ابن جرير، ج11/23

¹⁵³ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج4/293

¹⁵⁴ تفسير ابن كثير، ج8/137

ومن ذلك قوله -عليه الصلاة والسلام-: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"¹⁵⁵. وكان من دعائه -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: "وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ"¹⁵⁶، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطئه، وَمَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِهِ، وَلَئِنْ أَعْضَ عَلَى جَمْرَةٍ حَتَّى تَطْفَأَ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لِأَمْرِ قَضَاهُ اللَّهُ لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ"¹⁵⁷.

وينتج الرضا عن حسن الظن بالله تعالى، والثَّوْكُلُ عليه؛ فالرضا هو ثمرة الثَّوْكُلِ على الله¹⁵⁸، ومن الرضا بالقدر أن يرضى المسلم بما قدَّره الله تعالى عليه من المصائب؛ لأنَّ أفعاله تعالى كلها بحكمة.

المطلب الرابع: دلالة المصائب على توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات

المسألة الأولى: دلالة المصائب على توحيد الألوهية.

تعريف توحيد الألوهية: الألوهية من كلمة إله وهي في اللغة: فعال بمعنى مفعول، من أَلِهَ يَأْلُهُ إِلهَةً، وَأُلُوهُيَّةً، فهو مألوه، أي: عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً وَعِبُودِيَّةً، فهو معبود، فالإله هو المعبود¹⁵⁹.

توحيد الألوهية اصطلاحاً: له عدة تعريفات متنوعة متفقة في مضمونها، منها: "إفراد الله بأفعال العباد"¹⁶⁰، ومنها: "إفراد الله عز وجل بالعبادة"¹⁶¹.

دلالة المصائب على توحيد الألوهية:

المصائب التي تقع في العالم؛ منها العامة التي تصيب المسلمين وغير المسلمين، ومنها الخاصة التي تقع على بعض المسلمين وغيرهم، فموقف المسلم منها يختلف عن غيره، فهو يتعامل معها من منطلق عبوديته

¹⁵⁵ سبق تخريجه.

¹⁵⁶ أخرجه النسائي، في السنن الكبرى، واللفظ له، من حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنه، في كتاب الصلاة، برقم (1229) ج2/81، وابن حبان، في صحيحه، ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة بما ليس في كتاب الله، برقم (6619)، ج7/372، والحاكم وصحَّحه في المستدرک في کتاب الدعاء والتهليل والتكبير والتسبيح والذكر برقم (1940) ج3/77، وأبو يعلى في مسنده، برقم (1624)، ج3/154-155، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (1301) ج1/279.

¹⁵⁷ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، واللفظ له، باب في القدر خيره وشره من الله عز وجل، برقم (210) ج1/387-388، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (1217)، ج4/739؛ وأبو داود في كتابه الزهد برقم (128)، ص137، وابن بطّة في الإبانة الكبرى برقم (1595) ج4/150.

¹⁵⁸ ينظر: مدارج السالكين، ج2/122-123.

¹⁵⁹ ينظر: لسان العرب، ج13/469، ومختار الصحاح، ص20، ومعجم مقاييس اللغة، ج1/127.

¹⁶⁰ رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة، الرسالة الثانية، توحيد الألوهية ص2

¹⁶¹ القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن عثيمين ج1/14

لله تعالى؛ فالمسلم عبد لله تعالى في السراء والضراء، فهو يتعامل مع هذه المصائب بجملة من أنواع العبادات المطلوبة عند المصائب، فمن هذه العبادات ما يلي:

أولاً: الدعاء: لغة: إمالة الشيء، قال ابن فارس: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً"¹⁶²، "ودعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته"¹⁶³، ومن معاني الدعاء الطلب من الغير، قال ابن سيده: "طَلَبَ الطَّالِبُ لِلْفِعْلِ مِنْ غَيْرِهِ"¹⁶⁴.

الدعاء اصطلاحاً: عُرِفَ بعدة تعريفات منها: "معنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده منه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الشاء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه"¹⁶⁵.

على المسلم أن يتضرع إلى الله تعالى، بأن يحفظه ويسلمه وغيره المسلمين من المصائب قبل وقوعها؛ وأن يرفضها ويزيلها ويخففها إذا وقعت عليه أو على غيره من المسلمين، وعبادة الدعاء من أجل العبادات وأحبها إلى الله تعالى، وهي من جملة التوحيد، والتوحيد من أعظم ما يتوسل به في دفع المصائب أو رفعها، وللتوحيد أثر بالغ في دفع البلاء والمصائب ورفعها، قال الله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَدَا التُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87-88]، قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "فما دُفِعَتْ شِدَائِدُ الدُّنْيَا بِمَثَلِ التَّوْحِيدِ، ولذلك كان دعاء الكُرب بالتَّوْحِيدِ، ودعوة ذي النُّون التي ما دعا بها مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ كُرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ، فلا يُلْقَى في الكُربِ العظام إِلَّا الشُّرْكُ، ولا يُنْجَى مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ، فهو مَفْرَعُ الْخَلِيقَةِ وَمُجْزُؤُهَا وَحَصْنُهَا وَغِيَاثُهَا، وبالله التَّوْفِيقُ"¹⁶⁶، وعبادة الدعاء تتضمن التوحيد والعبودية لله تعالى، والذل والخضوع والافتقار له سبحانه، وقد سَمَّى الله تعالى الدعاء عبادة في غير موضع من القرآن الكريم؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

¹⁶² معجم مقاييس اللغة، ج2/279.

¹⁶³ لسان العرب، ج4/2514.

¹⁶⁴ المخصص، ابن سيده، ج4/574.

¹⁶⁵ شأن الدعاء، الخطابي، ص4.

¹⁶⁶ الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص 53.

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر:60]، وقوله تعالى في معرض الكلام عن نبيه إبراهيم عليه السلام وخطابه لأبيه: ﴿وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ﴾ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿سورة مريم:48-49﴾.

ومما ورد في بيان ذلك من السنة النبوية قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"¹⁶⁷، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ليس شيءٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ"¹⁶⁸، أي "أسرع قبولاً وأنفع تأثيراً"¹⁶⁹.

والدعاء مع كونه عبادة لله تعالى؛ فهو من أعظم وأجل أسباب دفع المصائب ورفعها؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ"¹⁷⁰، وقوله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه -رضي الله عنهم-

¹⁶⁷ أخرجه أبو داود في أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، برقم(1479)، ج2/603، والترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمن، برقم(3528)، ج5/452، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب التفسير، سورة غافر، برقم(11400)، ج10/244، وابن ماجه، في أبواب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم(3828)، ج5/5، وأحمد في مسنده، برقم(18391)، ج30/340، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (3407)، ج1/641.

¹⁶⁸ أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (3665)، ج5/6، وابن ماجه في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء حديث رقم (3829)، ج5/6، وأحمد في المسند، برقم (8748)، ج14/360، وابن جبان في صحيحه، ذكر البيان بأن دعاء المرء لله جل وعلا من أكرم الأشياء عليه، برقم(464)، ج1/356، والحاكم في المستدرک، كتاب الدعاء والتكبير والتلهيل والتسبيح والذكر، برقم(1817)، ج3/7، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(1629)، ج2/276.

¹⁶⁹ حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ج2/449.

¹⁷⁰ أخرجه الترمذي، واللفظ له، من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، في أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء برقم(2276) ج4/218، والطحاوي في مشكل الآثار، برقم (3068)، ج8/78، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (6128)، ج6/251، والبرز في مسنده، برقم(2540)، ج6/501، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (7687) ج2/1271.

: "تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكَ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ"¹⁷¹، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ"¹⁷².

"والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل"¹⁷³.

ومن الأدعية النافعة في دفع المصائب، سؤال الله تعالى العافية: فمما جاء في ذلك: عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، -رضي الله عنه- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، قَالَ: "سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"، فَمَكَّنْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: "عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"¹⁷⁴، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "سَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ شَيْئًا خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ"¹⁷⁵، والعافية هي السلامة من الأسقام والبلايا والآفات¹⁷⁶.

ومن الدعاء التحصين بالمحافظة على الأذكار الشرعية، مثل أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار الدخول والخروج من المنزل، والأكل والشرب، ونحو ذلك.

ومما ورد في التحصين بها من المصائب، عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

¹⁷¹ أخرجه البخاري، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب القدر، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، برقم (6242) ج6/2440، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (2707) ج4/2080.

¹⁷² أخرجه الترمذي، واللفظ له، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في أبواب الدعوات برقم (3860)، ج6/148-149، والحاكم في المستدرک، كتاب الدعاء والتكبير والتلهيل والتسبيح والذكر، برقم (1832)، ج3/14، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (3409)، ج1/641.

¹⁷³ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، ص 11

¹⁷⁴ أخرجه الترمذي، واللفظ له، في أبواب الدعوات، برقم (3823)، ج6/119-120، وقال: حديث صحيح، والبخاري في الأدب المفرد، باب من سأل الله العافية، برقم (726)، ص253، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، برقم (446)، ج8/378، وأحمد في المسند، برقم (1783)، ج3/303، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، باب من سأل الله العافية، برقم (562/726) ص269.

¹⁷⁵ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، واللفظ له، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في كتاب عمل اليوم والليلة، مسألة المعافاة وباب اختلاف الناقلين لخبر أبي بكر رضي الله عنه في ذلك، برقم (10652)، ج9/325، وابن ماجه، في أبواب الدعاء، باب الدعاء بالغفو والعافية، برقم (3849)، ج5/19، وأحمد في مسنده، برقم (17)، ج1/198، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (4072)، ج2/751.

¹⁷⁶ ينظر: تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، ج3/10

لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَ بَلَاءٌ حَتَّى يُمْسِيَ¹⁷⁷، ومن الدعاء الرقية الشرعية بالمعوذات، وغيرها مما وردت به السنة النبوية.

ثانياً: الاستعاذة: لغة: هي الالتجاء، قال ابن فارس: "العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يُحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه"¹⁷⁸، و"العوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به. يقال: عَادَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ"¹⁷⁹.

الاستعاذة اصطلاحاً: "هي اللجوء إلى الله - عز وجل والاعتصام به من شر كل ذي شر"¹⁸⁰، والاستعاذة نوع من أنواع الدعاء والعبادة، وقد ورد الأمر بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:200].

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يستعيز بالله تعالى من أمور منها: الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، فكان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال"¹⁸¹.

ومن ذلك استعاذته -صلى الله عليه وسلم- من زوال النعم، وتحول العافية، وفجاءة النقم، وجميع السخط، في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ"¹⁸²، ومن ذلك أمره -صلى الله عليه وسلم- أصحابه بأن يستعيذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ"¹⁸³، ومن ذلك استعاذته -صلى الله عليه وسلم-

¹⁷⁷ أخرجه أبو داود واللفظ له، في كتاب الأدب، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (5088)، ج4/323؛ والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب نوع آخر، برقم (9759)، ج9/11، وأحمد في مسنده، برقم (528)، ج1/546، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (6426)، ج2/1097.

¹⁷⁸ معجم مقاييس اللغة، ج4/183

¹⁷⁹ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 594-595

¹⁸⁰ نضرة النعيم في أخلاق النبي الكريم، ج2/202

¹⁸¹ أخرجه البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب الجهاد، باب من غزا بصبي للخدمة، برقم (2736)، ج3/1059-1060.

¹⁸² أخرجه مسلم، واللفظ له، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم (2739)، ج4/2097، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، برقم (1545)، ج2/645، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من زوال النعمة برقم (7900)، ج7/233، والحاكم في المستدرک، في كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر برقم (1963)، ج3/89.

¹⁸³ سبق تخريجه.

وسلّم- من سيّ الأمراض كما في قوله -صلى الله عليه وسلّم-: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ النَّسَقَامِ"¹⁸⁴.

ثالثاً: الاستغفار والتوبة: الاستغفار لغة: مصدر من الفعل غفر ومعناه السّتر، قال ابن فارس: "الغين والفاء والراء عظم بابه السّتر"¹⁸⁵.

الاستغفار اصطلاحاً: هو طلب المغفرة من الله تعالى¹⁸⁶، والمغفرة هي: "صيانة العبد عمّا استحقّه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه"¹⁸⁷.

والتوبة لغة: مصدر من الفعل تاب ومعناها: الرجوع، قال ابن فارس: "التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع. يقال تاب من ذنبه، أي رجع عنه يتوب إلى الله توبة ومتاباً، فهو تائب"¹⁸⁸.

التوبة اصطلاحاً: هي "ترك الذّنْب لقيحه والتّدم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة"¹⁸⁹.

والتوبة تكون بالرجوع عن معصية الله تعالى إلى طاعته، والاستغفار والتوبة عبادتان أمر بهما الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلّم-، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 199]، وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8].

¹⁸⁴ أخرجه أبو داود، واللفظ له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب الصلاة، باب تربع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم(1554)ج2/650، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الجنون برقم (7876)ج7/224؛ وأحمد في المسند، برقم(13004)ج309/2، وابن حبان في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله جل وعلا من حدوث العاهات به، برقم(6757)، ج7/443، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم(1281)، ج1/285.

¹⁸⁵ معجم مقاييس اللغة، ج4/385

¹⁸⁶ ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص 18

¹⁸⁷ الكلبيات، ص 666

¹⁸⁸ معجم مقاييس اللغة، ج1/357

¹⁸⁹ المفردات في غريب القرآن، ص 169

ومن السنة ما جاء في الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم"¹⁹⁰، وفي قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا أيها الناس، ثوبوا إلى الله، فإنّي أئوب في اليوم إليه مائة مرة"¹⁹¹، وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "قال الله -تبارك وتعالى-: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"¹⁹².

وللاستغفار والتوبة أثر عظيم في دفع البلاء ورفع بعد وقوعه، وذلك لأن من أسباب وقوع البلاء والمصائب حصول الذنوب والمعاصي لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:30]، والمعنى: أن ما يصيب الناس في الدنيا من مصائب، إنما هي عقوبة لهم بسبب ذنوبهم، وما يعفو عنه ولا يعاقب به كثير¹⁹³، يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفاتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص، ما يجلب عليهم من الآلام، والأمراض، والأسقام، والطواعين، والقحوط،... أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضاً"¹⁹⁴. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:33]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان فيهم أمانان: النبي صلى الله

¹⁹⁰ أخرجه مسلم، واللفظ له، عن أبي ذر رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (2577) ج4/1994-1995، والبيهقي في شعب الإيمان، معالجة كل ذنب بالتوبة منه، برقم (6686)، ج9/300-301، والبيهقي في شرح السنة، في كتاب الدعوات، باب الاستغفار، برقم (1291)، ج5/73-74.

¹⁹¹ أخرجه مسلم، واللفظ له، عن الأغر المُرَني رضي الله عنه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والإكثار منه، برقم (2702) ج4/2075، والنسائي في السنن الكبرى، عن أبي هريرة، باب كم يتوب في اليوم، برقم (10192)، ج9/165، والبرزاري في مسنده، برقم (9301)، ج16/183، وأحمد، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (18293)، ج30/225، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (885)، ج1/301.

¹⁹² أخرجه الترمذي، واللفظ له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده برقم (3852)، ج6/142-143، والطبراني في المعجم الأوسط، برقم (4305)، ج4/315، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، برقم (1571)، ج4/399، وأبو نعيم في حلية الأولياء، من أسانيد بكر بن عبد الله المزني، ج2/231، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (4338)، ج2/799.

¹⁹³ ينظر: تفسير الطبري، ج20/513-513.

¹⁹⁴ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج4/322.

عليه وسلّم - والاستغفار، فذهب النبي - صلى الله عليه وسلّم - وبقي الاستغفار¹⁹⁵. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: "أخبر الله سبحانه أنه لا يعذب مستغفراً، لأنَّ الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب"¹⁹⁶، ومن أسباب وقوع المصائب الذنوب، "وكل ما يصيب المؤمن من الشرِّ فإنما هو بذنوبه، والاستغفار يمحو الذنوب فيزيل العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]"¹⁹⁷، والمصائب المدفوعة بالاستغفار عامة، سواءً منها ما كان بسبب الذنوب والمعاصي أو غيرها، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "أمَّا العذاب المدفوع، فهو يُعَمُّ العذاب السماوي، ويعمُّ ما يكون من العباد؛ وذلك أنَّ الجميع قد سَمَّاهُ اللَّهُ عَذَاباً"¹⁹⁸. ولما كانت المصائب تقع بسبب الذنوب والمعاصي، كان على المسلم أن يستغفر الله ويتوب إليه حتى يدفعها الله تعالى عنه، أو يرفعها ويزيلها بعد وقوعها.

رابعاً: الصبر:

تقدّم الكلام على تعريف الصبر، ووجوبه، وأقسامه، عند الكلام عن دلالة المصائب على الإيمان بالقدر.

والصبر على البلاء والمصائب، عبادة جليلة، وهي عبادة واجبة أمر الله تعالى بها عباده، فمن ذلك ما ورد في قوله سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، وفي قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

ومدح الله تعالى الصابرين على البلاء والمصائب في قوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، وفي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 34-35].

¹⁹⁵ تفسير ابن كثير، ج 4/48.

¹⁹⁶ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج 163/8.

¹⁹⁷ جامع المسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة السادسة، ج 1/274.

¹⁹⁸ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج 42/15.

[34]، ومدح الله تعالى نبيه أيوب -عليه السلام- في صبره على المرض والبلاء بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:44]، إلى غير ذلك من الآيات.

أما في السنة النبوية فقد وردت عدة أحاديث يأمر فيها -النبي صلى الله عليه وسلم- بالصبر فمن ذلك عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَمْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: "أَتَقِي اللَّهَ وَأَصْبِرِي" قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تُعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى"¹⁹⁹.

ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ عَظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"²⁰⁰.

خامساً: الصدقة: ومن العبادات التي لها أثر في دفع المصائب ورفعها الصدقة؛ فمن ذلك ما ورد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ"²⁰¹، يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "فإن للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر؛ فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس، خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقررون به؛ لأنهم قد جربوه."²⁰².

سادساً: الصلاة: ومن العبادات التي لها تأثير في دفع المصائب ورفعها: الصلاة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 1٥٣]، وفي الحديث عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمرٌ صلى"²⁰³.

¹⁹⁹ أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم (1223)، ج 1/430-431.

²⁰⁰ سبق تخريجه .

²⁰¹ سبق تخريجه .

²⁰² الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ص 69

²⁰³ أخرجه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب تبرع أبواب التطوع وركعات السنة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، برقم (1319)، ج 2/485، وأحمد، في مسنده، برقم (23299)، ج 38/330، والبيهقي في شعب الإيمان، في كتاب الصلاة، باب: تحسين الصلاة والإكثار منها ليلاً ونهاراً وما حضرنا عن السلف الصالحين في ذلك، برقم (2912)، ج 4/516، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (4703)، ج 2/858.

سابعاً: التَّوَكُّلُ: لغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير²⁰⁴، "يقال: توكلَّ بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلتُ أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفائيته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. ووكلَّ إليه الأمر: سلَّمه"²⁰⁵.

التَّوَكُّلُ اصطلاحاً: هو: "صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنع، ولا يضرُّ ولا ينفع سواه"²⁰⁶.

والتَّوَكُّلُ من العبادات المأمور بها شرعاً، وقد أمر الله تعالى المسلمين بالتَّوَكُّلِ عليه، وذلك باعتماد القلب عليه، وتفويض الأمر إليه؛ ثقة به؛ فقال تعالى أمراً للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالتَّوَكُّلِ عليه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81]، وأمر الله سبحانه المؤمنين بالتَّوَكُّلِ عليه فقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]، والتَّوَكُّلُ على من صفات المؤمنين، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾ [الطلاق: 3]، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في الأمر بالتَّوَكُّلِ على الله تعالى، فالؤمن يحتاج إلى عبادة التَّوَكُّلِ على كل أموره، وهو أشد حاجة له حال وقوع المصائب.

وكان من دعائه -صلى الله عليه وسلم-: "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ"²⁰⁷، قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "فالتَّوَكُّلُ من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التَّوَكُّلُ، ولكن من تمام التَّوَكُّلِ عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها"²⁰⁸.

²⁰⁴ ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 1/124

²⁰⁵ لسان العرب، ج 11/734

²⁰⁶ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ج 2/497.

²⁰⁷ أخرجه البخاري، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، برقم (1069) ج 1/377، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (769) ج 1/532-533.

²⁰⁸ مدارج السالكين، ج 2/120.

فالواجب على المسلم عند المصائب أن يتوكل على الله -عز وجل-، وأن يعتمد على الله سبحانه في دفع المصائب، وفي رفعها بعد وقوعها، ومن ذلك ما وقع للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم- يوم أُحد عندما أُخبروا بجمع المشركين لقتالهم، قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]²⁰⁹.

ثامناً: حسن الظن بالله تعالى:

تعريف حسن الظن بالله: عُرِفَ حسن الظن بأنه: "ترجيح جانب الخير على جانب الشر"²¹⁰، وعُرِفَ بأنه: "ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها؛ تمسكاً بصادق وعده، وجزيل فضله"²¹¹، وهو تَوَقُّع الخير والإحسان من الله تعالى؛ فيما يقضي الله تعالى للعبد من الأقدار.

وحسن الظن بالله تعالى من العبادات الجليلة، التي يجب على المسلم أن يتعبد لله بها، وهو من أعمال القلوب، وعلى المسلم أن يحسن ظنه بربه تعالى في السراء والضراء، ومن مواطن حسن الظن بالله عند الشدائد والكرب، وعند الدعاء، فيظن العبد بربه خيراً؛ فيعتقد أنه سبحانه يكشف البلاء، ويجيب الدعاء، وأنه يغفر ذنوب المستغفرين، ويقبل توبة التائبين، وذلك مقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العلى، وأنه سبحانه له الحكم الجليلة فيما قَدَرَهُ وقضاه، وأن ما يقضيه للعبد فيه الخير، ومن ذلك ما وقع من الكرب للصحاب الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، فأحسنوا الظن بربهم؛ فأذهب الله تعالى ما بهم من الكرب؛ فنزل القرآن الكريم بقبول توبتهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 117-118]²¹²، وفي الحديث القدسي: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني

²⁰⁹ ينظر: تفسير ابن كثير، ج2/171

²¹⁰ نضرة النعيم في أخلاق النبي الكريم، ج5/1597

²¹¹ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ج5/7

²¹² ينظر تفسير ابن جرير، ج11/671.

فِي مَلَكٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَكٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذَرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولًا²¹³، قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى-: "قيل: معناه: بالغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إليّ، والإجابة إذا دعاني، والكفافية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنّه بالله وقوّى يقينه"²¹⁴، وفي الحديث الآخر: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي"²¹⁵، وفي حديث آخر: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ"²¹⁶.

وحسن الظن يدل على حسن الرجاء، وصدق التّوكّل على الله، وكلّما كان العبد حسن الظنّ بالله؛ كان حسن الرجاء له، صادق التّوكّل عليه²¹⁷؛ فحسن الظنّ يدعو صاحبه إلى التّوكّل على الله، وعلى قدر حسن ظن العبد بربه سبحانه يكون توكّله عليه²¹⁸.

ولا يكون حسن الظن بالله صحيحاً إلا مع حسن العمل، بفعل الطاعات؛ وترك المحرّمات، وإلا كان غروراً، وأمناءً لمكر الله، قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: "فأما ظن المغفرة والرحمة مع الإصرار على المعصية، فذلك محض الجهل والغرّة وهو يجر إلى مذهب المرجئة"²¹⁹.

ومن حسن الظن بالله تعالى، أن يعتقد المسلم أن الله سبحانه سيّجيب دعاء المؤمنين؛ بكشف البلاء والكرب؛ وبرفع المصائب الذي تحل به، أو بغيره من المسلمين، وأنّ الفرج قريب، وأنّ بعد العسر يسراً، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5].

²¹³ أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) برقم (6970)، ج 6/2694، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم (2675)، ج 4/2061.

²¹⁴ إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ج 8/172.

²¹⁵ أخرجه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، برقم (2675) ج 4/2067، والترمذي، في أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في حسن الظن بالله، برقم (2547)، ج 4/399، وأحمد في المسند، برقم (9749)، ج 15/446.

²¹⁶ أخرجه مسلم، واللفظ له، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (2877) ج 4/2205، وأبو داود، في أول كتاب الجنائز، باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت، برقم (3113)، ج 5/31، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، برقم (4167) ج 5/267، وأحمد في المسند، برقم (14125)، ج 22/28.

²¹⁷ ينظر: مدارج السالكين، ج 1/469.

²¹⁸ ينظر: المصدر السابق، ج 2/121.

²¹⁹ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج 7/6.

المسألة الثانية: دلالة المصائب على توحيد الأسماء والصفات:

تعريف توحيد الأسماء والصفات: عُرِفَ توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً بعدة تعريفات متنوعة، متفقة في مضمونها فمن هذه التعريفات: "هو إفراد الله بما سَمِيَ به نفسه، ووصف به نفسه، في كتابه أو على لسان رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وذلك بإثبات ما اثبته الله لنفسه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل"²²⁰، ومنها: "إفراد الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها"²²¹.

دلالة المصائب على توحيد الأسماء والصفات هي: أَنَّ الله -سبحانه وتعالى- الذي قَدَّرَ هذه المصائب على الخلق، والتي تقع في هذا العالم، متصف بالأسماء الحسنی والصفات العلی، منها الصفات الذاتية اللازمة، والمتعدية التي تتعلق بخلقه سبحانه، فمن ذلك أَنَّ من أسمائه تعالى الحسنی: الحي؛ وصفته الحياة، والقيوم وصفته القيومية، والصمد، وصفته الصمدية، والخالق والخالق، ومن صفاته الخلق، وهو القادر والقدير والمقتدر وصفته القدرة، وهو الحكيم وصفته الحكمة، وهو العليم وصفته العلم، وهو القوي، وصفته القوة، وهو العزيز، وصفته العزّة، وهو العفو، وهو الغفور، وهو التواب، وهو الرؤوف، وهو الرحيم، وهو الوكيل، وهو الحافظ، وهو الشافي، وهو السميع، وهو البصير، وهو القريب، وهو المجيب، وهو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهو الغني، وهو الولي، وهو الحميد، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات.

ولله تعالى صفات أفعال، وأفعاله سبحانه وتعالى تنقسم بحسب متعلقاتها إلى قسمين: أفعال لازمة، وأفعال متعدية، فالأفعال اللازمة هي ما قام بالله ولم يتعد أثرها إلى المخلوق؛ كالنزل، والاستواء، والمجيء، والرضا والغضب، وأمّا الأفعال المتعدية؛ فهي ما قام بالله وتعدى أثرها إلى المخلوق؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ونحوها²²².

ودلالة المصائب على الصفات الإلهية، تتمثل في أمور منها: اقتضاء أسمائه الحسنی سبحانه وصفاته العلی حصول المصائب، فمن ذلك: علمه، وخلق، وإرادته، وقدرته، وحكمته، ومنها: التَّعَبُّدُ لله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی في جميع الأوقات، ومنها وقت وقوع المصائب، فكما أَنَّ لله عبودية في السَّراء، كذلك له عبودية في الضراء، والمؤمن يتعامل مع المصائب من منطلق الإيمان بأسماء الله الحسنی وصفاته العلی؛ فيعلم أَنَّ الله سبحانه هو الذي خلق هذه المصائب، وقَدَّرَها، وشاءها، وهو الخالق، ووقعت بعلمه، وبقدرته، فهو العليم القدير، خلقها بقدر، بحكمته ومشيتته، فهي تدخل في

²²⁰ مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين، ج 34/6.

²²¹ معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي ص 29.

²²² ينظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ج 22/2، ومختصر الصواعق المرسلّة، الموصلي، ص 449.

عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16].

وقدّر الله سبحانه وقوع المصائب بعلمه، وإذنه، ومشيتته، وقدرته، وحكمته، وكذا قدر دفعها، ورفعها بعد وقوعها بقدرته، وحكمته، وهو العليم، الحكيم، الخبير، القدير، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]، وهو الذي يكشف الضر: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ إِخَيْرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17]، وهو السميع، القريب، المجيب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبُّوا إِلَىٰهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61].

فالمسلم يتوكل على الله سبحانه مع الأخذ بالأسباب، ويعلم أنه الحافظ، وأنه الوكيل، وأنه الحسيب، وأنه الكافي، وأنه لن يصيب العبد إلا ما كتب الله له، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 36].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: "وحقيقة الأمر: أَنَّ التَّوَكُّلَ حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التَّوَكُّلِ إِلَّا بِهَا، وكل أشار إلى واحد من هذه الأمور، أو اثنين أو أكثر. فأوّل ذلك: معرفة بالرب وصفاته، من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أوّل درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التَّوَكُّلِ، قال شيخنا رضي الله عنه [يعني شيخ الإسلام ابن تيمية]: ولذلك لا يصح التَّوَكُّلُ ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدريّة النفاة القائلين بأنّه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضاً من الجهميّة النفاة لصفات الرب -جل جلاله-، ولا يستقيم التَّوَكُّلُ إِلَّا من أهل الإثبات، فأَيُّ توكل لمن يعتقد أن الله لا يعم جزئيات العالم سفليه وعلويه؟ ولا هو فاعل باختياره؟ ولا له إرادة ومشيتة، ولا يقوم به صفة؟ فكل

من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف، كان توكله أصح وأقوى²²³، والوكيل من أسمائه الحسنی، ومعناه: هو "المتولي تدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته"²²⁴.

ومن دلالة المصائب على أسماء الله الحسنی وصفاته العلی، هي دعاء المسلم لله سبحانه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، والتوسل إليه بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، فالمسلم يدعو الله تعالى ويتضرع إليه، ويتوسل إليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، في دفع المصائب قبل وقوعها، وفي رفعها بعد وقوعها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:107].

والدعاء والتضرع إلى الله تعالى، والتوسل إليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی عند المصائب والبلاء هو سنة الأنبياء والمرسلين؛ فقد قال الله تعالى عن نبيه أيوب -عليه السلام-: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:83]، وقال سبحانه عن يونس -عليه السلام-: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:87-88]، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ"²²⁵. وكان من هديه -صلى الله عليه وسلم- الدعاء في الكرب، ومن أدعية الكرب ما ورد عن أسماء بنت عميس -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ - اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً"²²⁶، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - كان رسول

²²³ مدارج السالكين، ج2/118

²²⁴ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص947.

²²⁵ أخرجه الترمذي، واللفظ له، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، في أبواب الدعوات، باب، برقم (3813)، ج6/112، والنسائي، في كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر دعوة ذي النون، برقم(10417)، ج9/243، وأحمد في المسند، برقم (1462) ج3/65، والحاكم في المستدرک، في كتاب التفسير، ومن تفسير سورة الأنبياء، برقم(3483)، ج4/396، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (1644)، ج2/282.

²²⁶ أخرجه أبو داود، في سننه، واللفظ له، في أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار، برقم (1525)، ج2/632، وابن ماجه في سننه، في أبواب الدعاء، باب الدعاء عند الكرب، برقم(3882)، ج5/46، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب عمل اليوم والليلة،

الله - صلى الله عليه وسلم - يقول عند الكرب: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"²²⁷، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -: "دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اَللّٰهُمَّ رَحِّمْتِكَ اَرْحُوْ فَلَا تَكْلَنْبِيْ اِلَى نَفْسِيْ طَرْفَةً عَيْنٍ وَاَصْلِحْ لِيْ شَأْنِيْ كُلَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنْتَ"²²⁸، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، قال: كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا كَرِهَهُ أَمْرٌ، قَالَ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ"²²⁹، وفي رواية: "إِذَا نَزَلَ بِهِ هُمٌّ أَوْ غَمٌّ"²³⁰، وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هُمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِيْ بَيْنَكَ، مَا ضَرَّ فِيْ حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِيْ قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِيْ كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِيْ عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيْعَ قَلْبِيْ، وَتُوْرَ صَدْرِيْ، وَجَلَاءَ حُرْنِيْ، وَذَهَابَ هَمِّيْ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا"، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: "بَلَى، يَنْبَغِيْ لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا"²³¹.

ومن دلالة المصائب على توحيد الأسماء والصفات، الخوف من الله تعالى، ومراقبته؛ فهو سبحانه: العليم، القوي، المتين، الجبار، القاهر، القهار، العزيز، وأنه سبحانه يغضب على الكفار والمشركين،

باب نوع آخر، برقم (10408)، ج 9/240، والبيهقي في شعب الإيمان، في باب الصبر على المصائب وعمّا تنزع النفس إليه من لذة وشهوة، برقم (9745)، ج 12/460، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (1824)، ج 2/362 .
²²⁷ أخرجه البخاري، في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب برقم (5985)، ج 5/2336، ومسلم، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب برقم (2730) ج 4/2092.

²²⁸ أخرجه أبو داود، عن أبي بكرة نفع بن الحارث رضي الله عنه، في أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (5090)، ج 7/421، وأحمد في مسنده، برقم (20430)، ج 34/74-75، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر، برقم (10412)، ج 9/241، وابن حبان في صحيحه، ذكر وصف دعوات المكروب، برقم (522)، ج 1/387، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (3388)، ج 1/638.

²²⁹ أخرجه الترمذي، واللفظ له، في باب جوامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (3833)، ج 6/127، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، باب في الصبر على المصائب وعمّا تنزع النفس إليه من لذة وشهوة، برقم (9751)، ج 12/463-464، وابن المني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا حزبه أمر، برقم (337)، ص 299، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (4777)، ج 2/868 .

²³⁰ أخرجه الحاكم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب الدعاء والتسبيح والتكبير والتلهيل والذكر، برقم (1892)، ج 3/47، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم (4791)، ج 2/869-870.

²³¹ أخرجه أحمد في مسنده، في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم (3712)، ج 6/246-247، وابن حبان في صحيحه، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحاً، برقم (1757)، ج 2/498، والحاكم في المستدرک، كتاب: الدعاء والتسبيح والتكبير والتلهيل والذكر، برقم (1894)، ج 3/48-49، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (10352)، ج 10/169، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، الترغيب في كلمات يقولهن المديون والمهموم والمكروب والمأسور، برقم (1822)، ج 2/361.

وأنه عزيز ذو انتقام، وأن أخذَه وعذابه، أليم وشديد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: 4]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، وقال تعالى: ﴿أُنِئِ عِبَادِي إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [١٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: 49-50].

ومن دلالة المصائب على توحيد الأسماء والصفات، طلب الشفاء من المرض، والتَّوَسُّلُ إلى الله بأسمائه الحسنَى وصفاته العلى؛ فمن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- في الرقية: "أذهبِ البأسَ رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يَغَادِرُ سَقَمًا"²³²، وعن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ النَّقْعِيِّ، أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ"²³³.

فكل ما سبق من النصوص الشرعية، من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تكشف عن دلالة المصائب على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب.

المطلب الأول: مخالفات تضاد التوحيد.

المسألة الأولى: دعاء غير الله تعالى:

من المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب، والتي تضاد التوحيد، دعاء غير الله تعالى، في دفع المصائب أو رفعها، وهذا من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾^(١٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٧) [يونس: 106-107]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(١٧) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ (١٨)

²³² أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض برقم (5351)، ج 2147/5-2148، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض برقم (٢١٩١)، ج 1721-1722.

²³³ أخرجه مسلم، واللفظ له، في كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، برقم (2203)، ج 1728/4، وأبو داود في أول كتاب الطب، باب كيف الرقى، برقم (3891)، ج 38/6، والترمذي في أبواب الجنائز، باب ما جاء في التعوذ للمريض برقم (973)، ج 294/3، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما يقول الإنسان على ما يؤلمه من جسده، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، برقم (10773)، ج 368/9.

وَلَا يَنْتِفِكْ مِثْلَ حَبِيرٍ ﴿[فاطر: 13-14]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَاقَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: 5-6]، وقال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَّوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65].

ومما ورد في السنة في الأمر بدعاء الله تعالى وحده، قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في وصيته لابن عباس -رضي الله عنهما-: " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ "234، ومما ورد في النهي عن دعاء غير الله تعالى، وأن دعاء غيره سبحانه شرك بالله تعالى؛ قوله -صلى الله عليه وسلم-: " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نَذَأْ دَخَلَ النَّارَ "235، والدعاء في هذا الحديث يشمل دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: " مَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا بِبَلَاءٍ وَهُوَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَكْرَهُهَا، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْبَلَاءَ كَفَّارَةً وَطَهُورًا مَا لَمْ يُنْزَلْ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ فِي كَشْفِهِ "236.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: " ومن أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان، أن يُدعى غير الله، فإن ذلك من الشرك، والله لا يغفر أن يُشرك به، وإنَّ الشُّركَ لظلم عظيم، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]"237. وقال -رحمه الله تعالى-: " فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم، وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال

²³⁴ أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (2685)، ج4/489، وأحمد في المسند، برقم (2763)، ج4/478، والحاكم، في كتاب معرفة الصحابة، ذكر عبد الله بن عباس، برقم (6469)، ج7/476، والطبراني في المعجم الأوسط، برقم (5417)، ج5/316، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (7957)، ج2/1317-1318.

²³⁵ أخرجه البخاري، واللفظ له، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ أَندَادًا يُحِبُّونَ كُحُبَ اللَّهِ) برقم (4227)، ج4/1636، والنسائي، في السنن الكبرى، في كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ أَندَادًا يُحِبُّونَ كُحُبَ اللَّهِ)، برقم (10944)، ج10/20، وأحمد في المسند، برقم (3552)، ج6/12، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (10416)، ج10/189، والذَّهَبِيُّ في مسنده، برقم (1681)، ج3/103.

²³⁶ أخرجه ابن أبي الدنيا، في كتابه: المرض والكفارات، برقم (41)، ص51، وبرقم (205)، ص161، وحسنه الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (3401)، ج3/329.

²³⁷ تلخيص كتاب الاستغاثة، (الرد على البكري)، شيخ الإسلام ابن تيمية، ج1/210.

الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21]، فإنَّ دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم، وفي مغيبهم، وسؤالهم، والاستغاثة بهم، والاستشفاع بهم في هذه الحال، ونصب تماثيلهم - بمعنى طلب الشفاعة منهم - هو من الدِّين الذي لم يشرعه الله، ولا ابتعث به رسولاً، ولا أنزل به كتاباً، وليس هو واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات؛ فهذا كله من الشيطان، وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت، والاستشفاع به، والاستغاثة، أو يذكر ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين؛ فهذا كله ليس بمشروع، ولا واجب، ولا مستحب باتفاق أئمة المسلمين، ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة، وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة؛ فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين، فإنَّ الله لا يُعبد إلا بما هو واجب أو مستحب²³⁸.

فمن المخالفات التي تقع من بعض المسلمين، دعاء غير الله تعالى ممن يزعمون أنَّهم أولياء لله وصالحين؛ لكشف الضر، ورفع البلاء والمصائب، ويدعونهم بطلب الشفاء من الأمراض، كما يلجأ بعضهم إلى العرافين والكهَّان ممن يدَّعون معرفة المغيبات، ولا شك أنَّ كل ذلك ضرب من ضروب الشرك بالله تعالى.

المسألة الثانية: التَّوَكُّلُ على غير الله تعالى:

التَّوَكُّلُ على الله سبحانه من أعظم العبادات القلبية، وهو جماع التوحيد، إذ فيه الاعتماد على الله تعالى، والثقة به، وتفويض الأمر إليه، مع الأخذ بالأسباب، ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين بالتَّوَكُّل عليه، ونهاهم عن التَّوَكُّل على غيره، والتَّوَكُّل على غير الله تعالى من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 28]، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: "فجعل التَّوَكُّل شرطاً في الإيمان، فدلَّ ذلك على انتفاء الإيمان عند انتفاء التَّوَكُّل"²³⁹، وقال - رحمه الله تعالى - في بيان ضعف المخلوق، والنهي عن التَّوَكُّل عليه: فإنَّ "المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرر،

²³⁸ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج1/159-160

²³⁹ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص386

ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا نصر ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل، بل ربه هو الذي خلقه ورزقه، وبصره وهده، وأسبغ عليه نعمه، فإذا مسّه الله بضر فلا يكشفه عنه غيره، وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه، وأما العبد فلا ينفعه ولا يضره إلا بإذنه الله... فهذا الوجه يقتضي التوكّل على الله والاستعانة به، ودعاءه ومسألته، دون ما سواه...²⁴⁰.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "فإن التوكّل على الله واجب من أعظم الواجبات، كما أن الإخلاص لله واجب، وحب الله ورسوله واجب، وقد أمر الله بالتوكّل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء وغسل الجنابة، ونهى عن التوكّل على غير الله، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13]، وقال -عز وجل-: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84]²⁴¹، وما رجا أحد مخلوقاً ولا توكل عليه إلا خاب ظنّه فيه، فإنه مشرك، قال تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ السَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]²⁴².

ومما ينافي التوكّل على الله تعالى تعليق التماثل لانتقاء المصائب، ومنها الأمراض، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ عَلَّقَ نَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ"²⁴³، وعن عبد الله بن عكيم -رضي الله عنه-، مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وَكَلَّ إِلَيْهِ"²⁴⁴، قال الشيخ الدكتور صالح الفوزان -حفظه الله تعالى- في شرح هذا الحديث: "إِنَّ مَنْ التَفَتَ بِقَلْبِهِ أَوْ فَعَلَهُ أَوْ بِهِمَا جَمِيعاً إِلَى شَيْءٍ

²⁴⁰ المصدر السابق، ص 103-104

²⁴¹ الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص 17

²⁴² مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج 10/257

²⁴³ أخرجه أحمد في المسند، في مسند عقبة بن عامر رضي الله عنه، برقم (17422)، ج 28/636-637، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (492)، ج 1/889.

²⁴⁴ أخرجه الترمذي في أبواب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق، برقم (2202) ج 4/157، وأحمد في المسند، برقم (18781)، ج 31/77-78، والحاكم في المستدرک، في كتاب الطب، برقم (7734)، ج 8/536، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (3456)، ج 3/348.

يرجو منه النفع أو دفع الضرر، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِاللَّهِ كِفَاهًا وَيَسَّرَ لَهُ كُلَّ عَسِيرٍ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بغيره وكله اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْغَيْرِ²⁴⁵.

وَمَنْ التَّعَلَّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ تَعَلُّقِ عُبَادِ الْقُبُورِ بِمَنْ فِيهَا عِنْدَ حُلُولِ الْمَصَائِبِ، وَلِهَذَا إِذَا مَسَّتْهُمْ الضَّرَاءُ الشَّدِيدَةُ يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! أَنْقِذْنَا، وَفَرِّجْ كَرْبَنَا فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ شَرَكٌ أَكْبَرُ مَخْرَجٌ مِنَ الْهَلَةِ. وَقَدْ تَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ مِنَ الْمَخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَقْدِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ فِي عِنْدَ وَقُوعِ الْمَصَائِبِ، التَّوَكُّلُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي دَفْعِ الْمَصَائِبِ، وَرَفْعِهَا وَكُشْفِهَا، كَالْتَّوَكُّلِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ الْأَمْوَاتِ، وَالطَّيْرَةِ، وَتَعْلِيْقِ التَّمَائِمِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَى الْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ.

المسألة الثالثة: سوء الظن بالله تعالى.

مِنَ الْمَخَالَفَاتِ الْعَقْدِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ عِنْدَ وَقُوعِ الْمَصَائِبِ، سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، مِنْ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَجِيبُ الدَّعَاءَ بِدَفْعِ الْمَصَائِبِ، وَلَا يَكْشِفُ الْبَلَاءَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ قَدَحٌ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْذِيبٌ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِهِ مِنْ إِجَابَةِ الدَّعَاءِ، بِدَفْعِ الْمَصَائِبِ أَوْ رَفْعِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

وَذَلِكَ مِنَ الظَّنِّ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِهِ سَبْحَانَهُ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 154]، قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيُضْمَحِلُّ، وَأَنَّهُ يَسْلَمُهُ لِلْقَتْلِ، وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَلَا حَكْمَةٍ لَهُ فِيهِ"²⁴⁶، وَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: 6].

قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: "أَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السُّوءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلُمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ، وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حَمْدِهِ وَحُكْمَتِهِ"²⁴⁷، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رَسُولِهِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي رَدِّهِ عَلَى قَوْمِهِ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ أَفَبِكُلِّ عِلْقٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٢٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ يَرْبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 25-26].

²⁴⁵ الملخص في شرح كتاب التوحيد، الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص 72

²⁴⁶ زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 3/205

²⁴⁷ المصدر السابق، ج 3/206

85-87]، فقولته: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، حُكِيَ فِيهِ وَجْهَان: الأول: ما ظَنُّكُمْ بربكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره، وهذا للتهديد، والوجه الثاني: هو: أي شيء تظنون برب العالمين أنه هو حتى عبدتم غيره؟ وهذا الأسلوب معني به تعظيم الله وتوبيخ المشركين، ولا مانع أن يكون الوجهان مرادين، وعلى الوجه الثاني يظهر جلياً أن من أسباب الشرك إساءة الظن برب العالمين.²⁴⁸

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في سياق بيانه لأنواع الظن السيئ برب العالمين: "ومن ظن أن له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه"²⁴⁹. فمن المخالفات التي تقع في وقت وقوع المصائب؛ سوء الظن بالله تعالى، من أنه سبحانه يريد بخلقه ويعبده المؤمنين السوء والشر، أو أنه سبحانه لا يجيب الدعاء، أو لا يكشف البلاء، أو لا يرفع المصائب والشدائد.

المسألة الرابعة: اليأس من روح الله والقنوط من رحمته:

تعريف اليأس من روح الله: اليأس لغة: اليأس: هو القنوط، وقيل: اليأس نقيض الرجاء أو قطع الأمل.²⁵⁰

روح الله: لغة: الروح بفتح الحاء هو الرحمة والفرج، وروح الله أي رحمته وفرجه، قال ابن فارس: "الراء والواو والحاء أصل كبير مُطَرَّد، يدل على سعة وفسحة"²⁵¹. اليأس من روح الله اصطلاحاً: اليأس من روح الله هو: انقطاع الأمل والرجاء في رحمة الله وفرجه.²⁵²

²⁴⁸ ينظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني ج4/460، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، ج2/194

²⁴⁹ زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3/209

²⁵⁰ ينظر: لسان العرب، ج6/259-260، القاموس المحيط، ص582، المفردات في غريب القرآن، ص892.

²⁵¹ معجم مقاييس اللغة، ج2/454

²⁵² ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص346، والكليات، ص85

القنوط لغة: هو اليأس من الشيء، قال ابن فارس: "القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء. يقال: قنط يقنط، وقنط يقنط، قال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56]"²⁵³، وهو اليأس من الخير²⁵⁴.

القنوط من رحمة الله اصطلاحاً: هو اليأس من رحمة الله²⁵⁵.

واليأس من روح الله والقنوط من رحمته من المحرمات التي بيّن الله تعالى أنها من صفات الكفار، وأنها ليست من صفات المؤمنين، فالْمُؤْمِنُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى، قال الله تعالى مخبراً عن يعقوب -عليه السلام- مخاطباً أبناءه: ﴿يَكْبِتِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، قال ابن عطية: "اليأس من رحمة الله، وتضريحه من صفة الكافرين؛ إذ فيه إمّا التكذيب بالربوبية، وإمّا الجهل بصفات الله تعالى"²⁵⁶، وقال سبحانه: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56]، وفي الحديث عن ابن -عباس رضي الله عنهما-: الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: "الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ"²⁵⁷، وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ"²⁵⁸.

فمن المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب، والتي تقع من بعض المسلمين، اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته، وذلك بالاعتقاد أن المصائب لا دافع لها، ولا رافع بعد نزولها، وأن العسر سيدوم، وأنه لا أمل في زواله، وأن الشدائد لا تتجلى، ومن ذلك اعتقاد أن بعض الأمراض ليس لها علاج، ومنه قول بعض الأطباء هذا مرض ليس له علاج، ميتوس منه، ولا يُقَيّد ذلك بقوله: ليس له علاج عندي أو

²⁵³ معجم مقاييس اللغة، ج 32/5

²⁵⁴ المفردات في غريب القرآن، ص 685

²⁵⁵ ينظر التوقيف على مهمات التعاريف، ص 275.

²⁵⁶ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج 274/3

²⁵⁷ أخرجه البرّار في زوانده، كشف الأستار عن زوائد البرّار، باب الكبائر، برقم (106)، ج 71/1، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (2051)، ج 79/5، وقال عنه الهيتمي: رواه البرّار والطبراني في الأوسط، ورجاله موثّقون، معجم الزوائد ومنبع الفوائد، برقم (394)، ج 104/2.

²⁵⁸ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم (8784)، ج 156/9، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم (1019)، ج 340-341، وقال عنه الهيتمي: إسناده صحيح، معجم الزوائد ومنبع الفوائد، برقم (395)، ج 146-147.

نحو ذلك²⁵⁹، وهذا الأمر مخالف للحديث الصحيح: " ما أنزلَ اللهُ داءً إلَّا أنزلَ له شفاءً"²⁶⁰، وفي رواية: " مَا أنزلَ اللهُ داءً، إلَّا قد أنزلَ له شفاءً عِلْمُهُ مَنْ عِلْمِهِ وَجْهَهُ مَنْ جِوْهِهِ"²⁶¹، وقوله -صلى الله عليه وسلم: " لِكُلِّ داءٍ دَوَاءٌ، فإذا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"^{262 263}.

المسألة الخامسة: الأمن من مكر الله: الأمن من مكر الله هو: زوال الخوف من الله من قلب العبد بالكلية، أو زوال الخوف الواجب²⁶⁴.

والأمن من مكر الله من المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب، وهو من صفات الكُفَّار والعصاة، وهو عدم الخوف من العقوبة العاجلة، مع الإقامة على المعاصي، قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٩٧) وَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُجًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف: 97-99].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: " أَكْبَرُ الْكِبَايِرِ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ"²⁶⁵.

²⁵⁹ ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، العدد 7، ج 3 / 563.

²⁶⁰ أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المرضى، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم (5354)، ج 5/ 2151، وابن ماجه في أبواب الطب، باب المريض يشتبه الشيء، برقم (3439) ج 4/ 499، والبيهقي في شرح السنّة، كتاب الطب والرقي، باب الدواء، برقم (3225) ج 12/ 138.

²⁶¹ أخرجه أحمد في المسند، واللفظ له، في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم (3578) ج 6/ 50، وأبو يعلى في مسنده، برقم (5183)، ج 7/ 338، والحاكم في المستدرک، في كتاب الطب، برقم (8445)، ج 9/ 225، والبيهقي في السنن الكبرى، باب ما جاء في إباحة التداوي، برقم (19588)، ج 19/ 522-523، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (10331)، ج 10/ 163، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (451)، ج 1/ 813-814.

²⁶² أخرجه مسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في كتاب السلام، باب: لكل داء دواء. واستحباب التداوي، برقم (2204)، ج 4/ 1729، وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار بأن العلة التي خلقها الله جل وعلا إذا عولجت بدواء غير دوائها لم تبرا حتى تعالج به، برقم (4619)، ج 5/ 394، وأحمد في مسنده، في مسند جابر بن عبد الله، برقم (14597)، ج 22/ 449-450.

²⁶³ الآيات الكونية دراسة عقديّة، عبد المجيد بن محمد الوعلان، ص 559-560.

²⁶⁴ ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ص 387.

²⁶⁵ سبق تخريجه.

المطلب الثاني: مخالفات متعلقة بالمصائب مما ينافي كمال التوحيد.

المسألة الأولى: التَطْيِيرُ: التَطْيِيرُ: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم²⁶⁶.

والتشاؤم بالمصائب، من صفات الكفار، التي حَرَّمَها الله تعالى ونهى عنها، قال الله تعالى عن الكفار والمشركون: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78]، والمقصود بالسَّيِّئَةِ: الأذى والمكروه²⁶⁷، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]، والفتنة هي البلاء²⁶⁸، فكان الكفار والمشركون إذا أصابتهم مصائب تشاءموا بالإسلام، واعتقدوا أنه سبب ما يحل بهم من المصائب²⁶⁹.

والتَطْيِيرُ فيه سوء ظن بالله تعالى²⁷⁰، وهو مما ينافي التَّوَكُّلَ على الله ويضعفه، وكونه ينافي التَّوَكُّلَ لأنَّ التَطْيِيرَ قطع توكله على الله تعالى واعتمد على غيره؛ ولهذا ورد في الحديث أَنَّ الطَّيْرَةَ شَرُّكَ بِاللَّهِ تعالى كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الطَّيْرَةُ شَرُّكَ، الطَّيْرَةُ شَرُّكَ، الطَّيْرَةُ شَرُّكَ، ثَلَاثًا"²⁷¹، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "وسر هذا أَنَّ الطَّيْرَةَ إنما تتضمن الشرك بالله، والخوف من غيره، وعدم التَّوَكُّلَ عليه، والثقة به، فكان صاحبها غرضاً لسهام الشر والبلاء، فيتسرع نفوذها فيه؛ لأنه لم يتدرَّع من التوحيد، والتَّوَكُّلُ بجنَّةٍ واقية، وكل من خاف شيئاً غير الله سُلَّطَ عليه، كما أَنَّ من أَحَبَّ مع الله غيره عُدَّ بِه، ومن رجا مع الله غيره خُذِلَ من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها"²⁷².

²⁶⁶ ينظر القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ج 563/1

²⁶⁷ ينظر تفسير ابن جرير، ج 241/7

²⁶⁸ ينظر تفسير ابن كثير، ج 400/5

²⁶⁹ ينظر: تفسير ابن عطية، ج 109/4-، 110، ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، ص 175.

²⁷⁰ تفسير القرطبي، ج 60/6

²⁷¹ أخرجه أبو داود، واللفظ له عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (3915)، ج 54/6، وابن ماجه في كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، برقم (3539)، ج 561/4، وأحمد في المسند، برقم (3687)، ج 213/6، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (429)، ج 1/791.

²⁷² مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج 1553/3-1354

المسألة الثانية: سب المصائب:

من المخالفات العقدية التي تنافي كمال التوحيد، ومن المحرمات التي تخالف الشرع، سب المصائب؛ فيحرم على المسلم أن يسب المصائب؛ لأنَّ في ذلك سبُّ لله تعالى الذي قدَّرها، وقد ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنَّ أمَّ السَّائب -رضي الله عنها- قالت: "الحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فقال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهَا: " لَا تَسْبِي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ حَبْثُ الْحَدِيدِ"²⁷³. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-: " الحُمَّى هي السُّخونة، وهي نوع من الأمراض وهي أنواع متعددة، ولكنها تكون بقدر الله -عز وجل-، فهو الذي يقدِّرها وقوعاً، ويرفعها سبحانه وتعالى، وكل شيء من أفعال الله فإنه لا يجوز للإنسان أن يسبَّه؛ لأنَّ سبَّه سبُّ لخالقه -جلَّ وعلا-، ولهذا قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ"²⁷⁴ 275. ولهذا فإنَّ من المخالفات الشرعية العقدية، ما يقع من بعض المسلمين، من سبِّهم للمصائب تضجراً منها وتسخطاً عليها.

المسألة الثالثة: التَّسَخُّطُ والجَزَعُ من المصائب:

من المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب، التَّسَخُّطُ والجَزَعُ من المصائب، وهو محرَّم لما من منافاة للإيمان بالقدر، وعدم الصبر على المصائب، التَّسَخُّطُ على القدر الله ثلاثة أنواع: " النوع الأول: أن يكون بالقلب، كأن يسخط على ربه يفتاظ مما قدَّره الله عليه فهذا حرام، وقد يؤدي إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: 11]، النوع الثاني: أن يكون باللسان كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك، وهذا حرام، النوع الثالث: أن يكون بالجوارح كلطم الخدود، وشق الجيوب، وتنف الشعور وما أشبه ذلك، وكل هذا حرام مناف للصبر الواجب"²⁷⁶.

²⁷³ أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة، برقم (2575)، ج4/ 1993، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الجنائز، باب المريض لا يسب الحُمَّى، ولا يتمنى الموت لضرب نزل به، وليصبر وليحتسب، برقم (6635)، ج7/ 171.

²⁷⁴ أخرجه مسلم، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، برقم (2246)، ج4/ 1763، والبخاري، في كتاب الأدب، باب: لا تسبوا الدهر، برقم (5827)، ج5/ 2286.

²⁷⁵ شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج6/ 467.

²⁷⁶ مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين، ج2/ 110.

المسألة الرابعة: تعداد المصائب ونسيان النعم:

من المخالفات العقدية المتعلقة بالمصائب، تعداد المصائب ونسيان النعم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 6]، والكُنُود: هو الذي يُعَدُّ المصائب وينسى نعم ربه²⁷⁷، وإنكار النعم ونسيانها، والكفر بها، من صفات الكفار والمشركين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكْمُرُ مِنْ نِعْمَةٍ فِىنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 53-54]، وأما المؤمن فيشكر الله تعالى عند النعم، ويصبر على المصائب عند وقوعها، وعند زوال الكروب والمصائب، وفي ذلك يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءُ شَكَرَ، فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ، فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ"²⁷⁸.

المسألة الخامسة: بعض البدع المتعلقة بالمصائب:

من البدع المتعلقة بالمصائب ما يقوم به بعض المسلمين من التسييح والتحميد والتكبير والتهليل الجماعي؛ بقصد دفع المصائب أو رفعها²⁷⁹، ومنها القيام ببعض العبادات الجماعية البدعية من أجل رفع البلاء²⁸⁰، ومنها اختراع أدعية وأذكار لم يرد بها الشرع، ونسبتها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، واعتقاد أنها مما يدفع المصائب أو يرفعها²⁸¹، وترك الأدعية الشرعية الواردة في ذلك، واعتقاد بعض المسلمين أن التمسك بالإسلام هو سبب وقوع المصائب²⁸²، واعتقاد بعض المسلمين بأن دعاء الأولياء والصالحين من الأحياء أو الأموات يدفع المصائب أو يرفعها، أو أن التمسك بأضرحتهم يدفع البلاء، أو يرفعه، واعتقاد بعضهم أن التَّجْهِيم يدفع المصائب أو يرفعها، واللجوء إلى المنجِّمين والكُهَّان والعُرافين

²⁷⁷ ينظر تفسير ابن جرير، ج585/24

²⁷⁸ سبق تخريجه .

²⁷⁹ <https://sabq.org/JcNVzf> دعاء جماعي من شرفات المنازل بالمغرب من أجل رفع بلاء كورونا، نُشر بتاريخ 23 مارس 2020م - 28 رجب 1441هـ، 01:24 PM، تم الاطلاع عليه بتاريخ 1446/10/26هـ.

²⁸⁰ ينظر: بذل الماعون بفضل الطاعون، ابن حجر العسقلاني، ص 329.

²⁸¹ ينظر: موقع طريق الإسلام، <https://ar.islamway.net/fatwa/72772>، تم الاطلاع عليه بتاريخ 1446/10/26هـ.

²⁸² ينظر: موقع الإسلام سؤال وجواب: <https://islamqa.info/ar/answers/352242>، تم الاطلاع عليه بتاريخ 1446/10/26هـ.

والدجالين والمشعوذين، بغرض دفع المصائب أو رفعها²⁸³، ولا شك أن كل ذلك مع كونه بدعة؛ فهو إما وسيلة إلى الشرك بالله، أو شرك بالله تعالى مخرج من ملة الإسلام. وبنهاية هذ المبحث أكون قد وصلت إلى ختام وتمام ونهاية هذا البحث، فالحمد لله على توفيقه أولاً وآخرًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

أولاً النتائج:

خلص البحث إلى عدة نتائج أبرزها:

1. المصائب هي كل ما ينزل بالإنسان مما يُكره، ويسبب له ألماً، أو همماً، أو غمماً، أو حزناً.
2. توجد مصطلحات ذات صلة بالمصائب، سواءً مما سُميت به، أو مما له علاقة بالمصائب.
3. تناول القرآن الكريم، كما تناولت السنة النبوية المصائب: أنواعها، وأسبابها، وأسباب دفعها أو رفعها.
4. تتعلق بالمصائب مسائل عقدية عديدة منها ما يلي:
 - تدل المصائب على توحيد الله تعالى والإيمان به، ومن ذلك الإيمان بوجوده سبحانه، لأن كل ما يقع في الكون فهو من مخلوقاته، والمصائب من مخلوقاته سبحانه، ووجود المخلوق دليل على وجود الخالق.
 - تدل المصائب على توحيد الربوبية، فهي إنما تقع بإذن الله تعالى، وبأمره، وحُكمه، وتدييره، فهو سبحانه مالك هذا الكون لا مالك له سواه، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد.
 - تدل المصائب على الإيمان بالقدر، لأن الله تعالى هو الذي قدر وقوعها أزلاً، وعلم بوقوعها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقها، ووقعت على وفق التقدير السابق، في الأوقات والأماكن التي أراد الله تعالى وقوعها فيه، كما أنه سبحانه قدر دفعها بقدر أو رفعها بعد وقوعها.
 - لله تعالى حكم في تقدير المصائب ووقوعها، منها: ظهور مقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العلى، ومن هذه الصفات: قدرته سبحانه، وحكمته، وقوته، وعزته، وجبروته، وقهره، ومن حكم تقدير المصائب بيان ضعف وعجز الخلق، وفقرهم وحاجتهم إلى ربهم وخالقهم، وبيان حقيقة الحياة الدنيا، وحقارتها، وأنها دار أكرار ونقائص، ومن حكم وقوع المصائب أنها تكون عقوبة للظالمين من الكفار والعصاة والمجرمين، وابتلاء واختباراً للرسل -عليهم السلام- وللمؤمنين، وتمحيصاً للمؤمنين، أو تكفيراً لسيئاتهم، أو رفعة لدرجاتهم.

²⁸³ ينظر: موقع صحيفة إنديبندت عربية، صحيفة إلكترونية، <https://www.independentarabia.com/node/10772>

مقال بعنوان: السحر والشعوذة (دواء كورونا) في السودان ترويج لما يُسمى وصفات علاجية ذات بعد روحي، كاتب المقال: جمال عبد القادر البدوي، صحفي سوداني، بتاريخ: الأربعاء 1 أبريل 2020م 15:01، تم الإطلاع عليه بتاريخ 1446/10/26هـ.

- يجب على المسلم الصبر على البلاء والمصائب، التي يقدّرُها الله تعالى، والصبر على المصائب من الإيمان بالقدر، ومن ذلك الصبر على ما يحصل له بسببه من ضيق ومشقة، كما يستحب له الرضا والتسليم بقدر الله تعالى، ويحرم على المسلم التَّسَخُّطُ على أقداره سبحانه.
- تدل المصائب على توحيد الألوهية؛ لأنَّ المسلم يتعامل معها من منطلق عبوديته لله تعالى، من خلال عدة من العبادات منها: الدعاء، والاستعاذة، والاستغفار، والتوبة، والصلاة، والصدقة، والصبر، والتَّوَكُّلُ، وحسن الظن بالله.
- تدل المصائب على توحيد الله في أسمائه وصفاته، لأنَّ الله تعالى - خالق هذه المصائب ومُقدِّرها - له أسماء حسنى وصفات عُلَى، منها: صفات ذاتية لازمة، ومتعدية، فاللازمة منها الحياة، والاستواء، والمتعدية منها: القدرة، والعلم، والخلق، والمشية، والإرادة، كما تضمن كل اسم من أسمائه الحسنى صفة من صفاته سبحانه، فاسمه القادر والقدير يدلان على صفة القدرة، واسمه العزيز يدل على صفة العِزَّة، والخالق والخالق يدلان على صفة الخلق، واسمه القوي يدل على صفة القُوَّة، وتقدير المصائب من مقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومن دلالة المصائب على الأسماء والصفات الإلهية، دعاء المسلم لله تعالى، والتَّوَسُّلُ إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، لدفع المصائب أو رفعها، والخوف منه سبحانه، من جبروته، وغضبه.
- يجب على المسلم أن يحسِّن ظنه بالله تعالى، عند وقوع المصائب، ومن ذلك أنَّه سبحانه يجب الدعاء، ويفرِّج الكرب، ويكشف الهموم والغموم، ويغفر الذنوب، ويتوب على التائبين، ويكشف البلاء، ويرفع المصائب.
- وجوب التَّوَكُّل على الله تعالى، في كل وقت، وعلى كل حال، لا سيَّما في أوقات المصائب والكروب والشدة، وأن يعتقد المسلم أنه لن يصيبه إلَّا ما كتب الله له، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ التَّوَكُّل لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل الأخذ بها من التَّوَكُّل على الله تعالى.
- يقع بعض المسلمين بجهلهم في مخالفات عقدية، عند وقوع المصائب، منها مخالفات في التوحيد، تضاد التوحيد مثل: دعاء غير الله تعالى، والتَّوَكُّل على غيره سبحانه، وسوء الظن به، واليأس من فرجه ورحمته تعالى.
- تقع من بعض المسلمين مخالفات تنافي كمال التوحيد متعلقة بالمصائب، منها: التشاؤم بالمصائب، وسبها، والتَّسَخُّطُ منها، والجزع عند وقوعها، وتعداد المصائب ونسيان النعم.
- من البدع المتعلقة بالمصائب والتي يقع بعض المسلمين: التسييح، والتحميد، والتكبير، والتلهيل الجماعي، بنية رفع المصائب، أو القيام ببعض العبادات الجماعية البدعية لدفع المصائب أو رفعها، ومنها: اختراع أذكار وأدعية غير مشروعة لدفع المصائب أو رفعها، ومنها: دعاء الأموات واعتقاد أنهم يجيبون الدعاء ويرفعون هذا اللبأ، أو اعتقاد أن التمسح بالأضرحة يقي أو يشفي من هذا اللبأ، واعتقاد بعضهم أن التجيم، والذهاب إلى العرَّافين والكهان: مما يدفع المصائب أو يرفعها.

- معظم هذه البدع إما أن تكون شرك بالله تعالى، وإما وسيلة إلى الشرك، وجميع البدع في الدين، محرمة شرعاً.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

- دعوة الباحثين إلى المزيد من دراسة للمسائل العقدية المتعلقة بالمصائب.
- لفت نظر القائمين على مراكز الدراسات البحثية إلى تناول الموضوع من جوانب مختلفة.
- الاستفادة من نتائج هذا البحث والبحوث ذات الصلة في فهم شامل للموضوع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
2. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، 1441 هـ - 2019م، (الأولى لدار ابن حزم).
4. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتاب نشر بعنوان: 200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية)، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1422هـ.
5. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ - 2000م.
6. الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد، ابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ط.ت).
7. الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك، العام الجامعي: 1432 هـ / 1433 هـ.
8. الإيمان، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، 1416هـ/1996م.
9. بذل الماعون في فضل الطاعون، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عصام عبد القادر الكاتب، الناشر: دار العاصمة الرياض.

10. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
11. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد، مرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية (د.ط.ت).
12. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.
13. تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد بن محمد، المنبجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م.
14. التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد، ابن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
15. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطباعة القديمة في باكستان 1407 هـ - 1986 م)، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
16. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م.
17. تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد علي عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
18. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى: 1410 هـ - 1990 م.
19. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، 1423 هـ/2002 م.
20. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الوليح، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.
21. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند

- حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
22. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.
23. جامع المسائل - المجموعة السادسة، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى، 1429هـ.
24. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية: 1384هـ - 1964م.
25. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى: 1987م.
26. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، عام النشر: 1394هـ - 1974م.
27. رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد (د.ط.ت).
28. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط، الرياض، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
29. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ.
30. زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1440هـ - 2019م (الأولى لدار ابن حزم).
31. الزهد، أبو داود سليمان السجستاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم بن محمد، غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان - مصر، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.
32. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف.
33. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.

34. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق السَّجِسْتَانِي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.
35. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة، الترمذي، أبو عيسى، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.
36. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001م.
37. السنن الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011م.
38. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423 هـ / 2003م.
39. شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426 هـ.
40. شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، الْقَاضِي عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ الْيَحْصَبِيِّ، أبو الفضل، تحقيق: الدكتور يحيى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م.
41. شرح العقيدة الطحاوية، (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، المصدر المكتبة الشاملة، الكتاب مرقم آلياً، دروس مفرّعة، تاريخ النشر بالمكتبة الشاملة، 8 ذو الحجة 1431 هـ.
42. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرّج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، 1421 هـ.
43. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494م.
44. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1399 هـ - 1979م.

45. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: عصام فارس الحرساني، خرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى / 1417 هـ - 1997م.
46. الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، بالمملكة العربية السعودية.
47. صحيح ابن حبان، المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، محمد علي سونمز، خالص أي دمير، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012م.
48. صحيح الأدب المفرد، للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997م.
49. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) دمشق، الطبعة الخامسة، 1414 هـ - 1993م.
50. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م.
51. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح، الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، (د.ط.ت).
52. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: 1374 هـ - 1955م.
53. الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة: 1407 هـ - 1987م.
54. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود، أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1414 هـ - 1994م.
55. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية - مصر، الطبعة: السلفية الأولى، 1380 - 1390 هـ.
56. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى: 1414 هـ.
57. فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، أبو فيصل البدراني، كتاب إلكتروني، (بدون بيانات أخرى).

58. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973م.
59. قاعدة في الصبر، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 116 - السنة 34، 1422هـ/2002م.
60. القضاء والقدر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
61. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، الناشر: دار الوطن، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1418هـ - 1997م.
62. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
63. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم 1424هـ.
64. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
65. عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق، ابن السني، تحقيق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت.
66. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
67. كتاب العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
68. كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1399 هـ - 1979 م.
69. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
70. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1415هـ.
71. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة: 1414 هـ.

72. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عامر بن علي ياسين، الناشر: دار بن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007م.
73. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه وخرّج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المأمون للتراث.
74. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأولى: 1407هـ - 1438هـ.
75. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1425هـ/2004م.
76. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
77. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م.
78. مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420 هـ / 1999م.
79. المرض والكفارات، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، ابن أبي الدنيا، تحقيق: عبد الوكيل النّدوي، الناشر: الدار السلفية - بومباي، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991م.
80. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن البيع، تحقيق: الفريق العلمي لمكتب خدمة السنة، بإشراف أشرف بن محمد نجيب المصري، الناشر: دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى: 1439 هـ - 2018م.
81. مسند البزار، المنشور باسم البحر الرّخّار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، بدأت 1988م، وانتهت 2009م.
82. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ - 2001م.

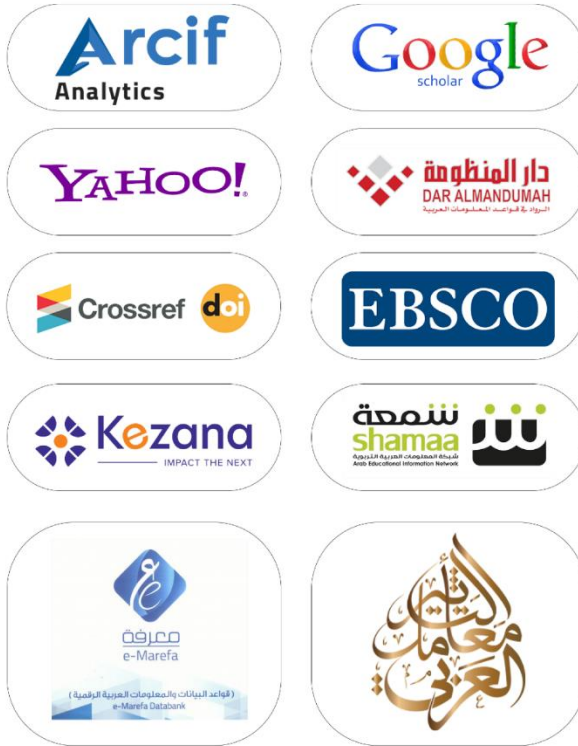
83. المُصنَّف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015م.
84. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت (د.ط.ت).
85. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997م.
86. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1419 هـ/1999م.
87. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399 هـ - 1979م.
88. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عام النشر: 1415 هـ - 1995م.
89. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية (د.ت).
90. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدُ أَجْمَلُ الإصْلَاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ.
91. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بدوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م.
92. الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار النشر: دار العاصمة الرياض، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2001م.
93. نبذة في العقيدة الإسلامية، محمد بن صالح بن عثيمين، (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992م.

94. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، (د.ت).
95. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن محمد، الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي